

ISBN=252676

جامعة بيرزيت
كلية الدراسات العليا
معهد أبو لغد للدراسات الدولية

الحرب العربية الباردة والكيان الفلسطيني

1967 - 1958

The Arab Cold War and The Palestinian Entity
1958 - 1967

Thesis
DS
119.7
.A289
2003

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

أشرف رشاد أبوشخيدم

الرقم الجامعي: 1005059

تاريخ المناقشة

26-03-2003



لجنة المناقشة

د. هلغى باومغرتن (رئيساً)

د. سونيا نمر (عضو)

د. نديم مسيس (عضو)

"قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمطالباته درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت - فلسطين".

آذار 2003

الحرب العربية الباردة والكيان الفلسطيني

1967 - 1958

The Arab Cold War and The Palestinian Entity 1958 – 1967

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

أشرف رشاد أبو شخيدم

الرقم الجامعي: 1005059

تاریخ المناقشة

26-03-2003

لحوظة المناقشة

د. هُلْغى باؤ مُغرتَن (رئيْساً)

د. سونيا نمر (عضوًا)

د. نديم وسيس (عضوأ)

"قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمقابلاته درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت - فلسطين".

آذار 2003

الإِهْدَاءُ

إِلَى أُمِّي ...

إِلَى أَبِي ...

وإِلَى أَخْوَتِي وَأَخْوَاتِي ...

إِلَى رَفِيقَةِ دُرْبِي وشَرِيكَةِ مُسْتَقْبَلِي ،،، إِيمَان ...

وإِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ فِي إِنْجَازِ هَذَا الْعَمَلِ الْمُتَوَاضِعِ ...

الشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

"لئن شكرتم لأزيدنكم"

صدق الله العظيم

أشكر الله تعالى على ما ينعمه علي من صحة وعافية وقدرة على الكتابة

أبدأ شكري إلى من شاطرني العناء خصوصاً في الحصول على المراجع
و الوثائق وكان له مجده المذاخر
الدكتورة هلغى باومغرتن

كما أتقدم بجزيل الشكر
على واحدة من أولى صفحات هذا العمل
إلى ثلاثة من الأصدقاء الأعزاء الذين أسهموا بشكل مباشر
في رؤية هذه الدراسة للنور، وأخص بالذكر منهم: ياسر درويش،
مروان مطير، عمار البازجي، حمسي الفونو،
أحمد المزيني، عمار الصوص
و خالد طواافشة

والله ولي التوفيق

إني رأيته أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه

إلا قال فيي ندده:

لو غير هذا لكان أحسن

ولو زيد هذا لكان يستحسن

ولو قدم هذا لكان أفضل

ولو تركه هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العبر

وهو الدليل على استيلاء الفقير على جملة البشر.

الحمد لله الذي أصلحني.

Abstract

The topic of this thesis is the foundation of the PLO and thus the establishment of a Palestinian entity as the basis for a future Palestinian State, which took place in the context of the Arab regional system. One central question deals with the problem of creating a new state within an established regional system existing of a fixed number of states which in turn do not look favorably on the creation of a new state in their midst. Their attitude to this potential new state is derived from their attempt to preserve the national interests of each single state (measured by its political, economic and social power and power position within the regional system) as a component of the regional system.

The two major organizations constituting the Palestinian National Movement at the time, Fateh and Harakat al-Qaumiyyin al-'Arab, moved within the confines of this regional system, and developed, based on their historical and ideological background, two different political trajectories. Fateh proposed a trajectory contained

within the slogan "liberation is the road to unity", while harakat al-qaumiyyin al-'Arab proposed a slogan directly opposed to the one of Fateh, i.e. "unity is the road to liberation".

Between 1958 and 1967 both Palestinians and Arab States began to focus more and more on the problem of Palestine, its future and the idea of a Palestinian entity. All this happened in the context of a focus on Arab nationalism as led by the Egyptian President Jamal Abdel Nasser. The starting point for this period was the creation of the United Arab Republic based on the unity between Egypt and Syria. The period ended with the 1967 war, the catastrophic Arab defeat, which constituted a major defeat for Arab nationalism. All this had without doubt a deep impact on the future development of the Palestinian question.

The thesis is based on the working hypothesis that the struggle for the establishment of a Palestinian entity, as lead by the two major organizations within the Palestinian National Movement, had to be led within the context of the Arab regional system. This meant not only that most of the Arab states, political movements and parties as well as political leaders influenced these Palestinian aspirations. Also, the Palestinian struggle for an entity and, in the final resort, for a state,

was directly impacted by the conflicting interests of Arab states as represented by the different Arab leaders. Without doubt all these intervening factors led to a delay in the creation of a Palestinian entity.

The major players in the conflict revolving about a future Palestinian entity were on the one hand Egyptian President Jamal Abdel Nasser as the leader of the revolutionary bloc, on the other hand the Saudi King Saud Bin Abdel-Aziz, the leader of the conservative or reactionary bloc.

Both blocs are separated also by their respective shared ideologies. So we have on the one hand republican states with a radical Arab nationalist ideology and a clear anti-Western political outlook like Syria, Iraq and Egypt. On the other hand, we find monarchies or kingdoms with a very pro-western outlook and a basically conservative ideology such as Jordan and Saudi Arabia.

The approaches and theories applied in this thesis are the regional-system approach, as developed by Ali Eddin Hilal and Jamil Matar, as well as realist theory, which when taken together propose that the behavior of states, their decision making and their policies in general have to be interpreted and analyzed base on the strive for power, the implementation of national interests, as well as the

maintenance of the balance of power within the regional system. All Arab states, irrespective of their ideological background, instrumentalized the Palestinian question for the furthering of their own interests. They made use of the Palestinians' quest for an entity in order to reinforce their own power and to maintain the existing balance of power within the regional system

المحتويات

<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>
ت	الإهداء
ث	الشكر
ح	Abstract
1	مقدمة
10	وطئة نظرية
18	الفصل الأول: المسألة الفلسطينية و الحرب العربية الباردة
22	المبحث الأول: هيكلية الحركة الوطنية الفلسطينية
30	الهيئة العربية العليا
34	الأتحاد العام لطلبة فلسطين
35	فوج التحرير الفلسطيني
37	حزب البعث العربي الأشتراكي
40	حركة القوميين العرب
47	حركة التحرير الفلسطيني "فتح"
54	المبحث الثاني: دولة الوحدة و الحال داخل النظام الإقليمي العربي

الفصل الثاني: الكيان الفلسطيني: تحدي أزمات ما بعد دولة الوحدة	73
المبحث الأول: سقوط بعض القيادات العربية والمشاريع الإسرائيلية	78
المبحث الثاني: تجسيد الكيان بين القمم العربية وصراع الإرادات	98
مؤتمر القمة العربي الأول	98
جولات الشقيري التحضيرية	103
المؤتمر الوطني الفلسطيني وأنطلاقة منظمة التحرير الفلسطينية	109
وجهات النظر وردات الفعل	116
مؤتمر القمة العربي الثاني	119
الفصل الثالث: الطريق إلى نكسة عام 1967 وحرب حزيران	122
المبحث الأول: منظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية	126
واستراتيجية التوريط	126
فتح الكفاح المسلح والأنطلاقة	126
المجلس الوطني الفلسطيني	130
المبحث الثاني: السير على دروب الهزيمة	138
الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ومشاريع التسوية	138
مؤتمر القمة العربي الثالث	143
الميثاق الإسلامي والعقيدة القومية: صراع الزعامة فيصل	149
	وعبد الناصر

152	الأنزلاق إلى مستنقع الحرب
153	تحي الشقيري وأسئلته
156	خاتمة
163	قائمة المراجع

مقدمة

لقد تمثل الوضع الذي ساد الأرضي الفلسطيني بعد وقوع النكبة عام 1948، بأن أصبحت الضفة الغربية جزء من المملكة الأردنية الهاشمية وأخضعت لإدارتها بعد أن قامت الأخيرة بعملية ضمها لسيادتها، بينما خضع قطاع غزة للإدارة العسكرية المصرية، في حين لم ينشأ أي وضع خاص لمنطقة الحمة التي خضعت للإدارة السورية، وبما أن هذه الأجزاء هي كل ما تبقى من أرض فلسطين، التي لم تُحتل من قبل إسرائيل، أصبح الحال أن لا مكان ولا متنفس للفلسطينيين على أرضهم لإقامة دولتهم أو كيانهم الخاص، وبذلك تحققت سيطرة الدول العربية ومشاركتها المباشرة في الشؤون الفلسطينية وعلى وجه التحديد تلك الدول المجاورة لفلسطين وكان لها دور في حرب عام 1948، ومن جانب آخر فقد كانت عقيدة القومية العربية هي القناع والمبرر لممارسة ذلك النفوذ والإشراف الذي قامت به تلك الدول العربية على القضية الفلسطينية بشتى جوانبها وأجزائها.

أما في سنين عقد الخمسينات فقد توزع الاهتمام بالقضية الفلسطينية على عدة محاور عربية أكانت يمينية أو يسارية، ثورية أو محافظة، قومية أو قطرية، في الوقت الذي كان فيه المحور الفلسطيني ضعيف ولا يتمتع بوزن وثقل خاص يعتد به، فرجحت الكفة لصالح المحاور العربية وظروفاتها وسياساتها.

وبالتالي في غياب الكيان أو الدولة الفلسطينية المستقلة، لم يكن للفلسطينيين الحظ الوافر في المزاحمة على فرض الطروحات أو السياسات، فلم يملكو سوى الخضوع والتأثر بأنظمة تلك الدول العربية والحركات القومية المتواجدة على أرضها.

وبما أن أبرز واهم شعارات العقيدة القومية العربية تمثل بمضمون أن الوحدة العربية هي طريق تحرير فلسطين، فقد انضوى كثير من الفلسطينيين تحت لواء هذه العقيدة ورهنوا مصيرهم الوطني بمصيرها كحركة القوميين العرب¹، في حين الذي رافق ذلك التوجه توجه آخر مثل الأقلية، والتي نادت إلى العمل والنشاط الفلسطيني الخاص والمستقل كحركة فتح قبل وصولها إلى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

وإذا كانت العلاقات العربية-العربية تتأثر بالسياسات الإسرائيلية، فإن هذا التأثير وخلال عقد الخمسينات قد كان محدوداً إلا أنه تزايد في عقد السبعينات²، وبالتالي فبدلاً من أن توحد القضية الفلسطينية الصفة العربي ببناء على سلوكيات وسياسات إسرائيل، فقد سخرت لتكون السبب في الإنقسام والتناحر بالاعتماد على مبدأ المزايدة بالقضية الفلسطينية من قبل الأنظمة العربية على بعضهم البعض أي بمعنى آخر فقد تشابكت القضية الفلسطينية مع قضايا الحرب العربية الباردة التي وضعت المحافظين ضد الثوريين وزجت بثوريين ضد ثوريين.

¹ ناهض زقوت، حركات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين ، (غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق، ط.1، 2000) ص39

² فواز جرجس، النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى: دراسة في العلاقات العربية-العربية-الدولية ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1997) ص20

لكل ما سبق، إنطلقت هذه الدراسة من ضرورة الإجابة على التساؤل التالي: كيف أثرت النزاعات والصراعات العربية البينية، والتي أخذت شكل حرب عربية باردة، على مسار القضية الفلسطينية وعلى مسألة إقامة وبناء الكيان الفلسطيني؟؟ وكذلك كيف تم تسخير القضية الفلسطينية من قبل الدول العربية في خدمة مصالحها وأهدافها؟؟ بمعنى آخر ستسعى هذه الدراسة إلى توضيح الظروف التي سبقت قيام ونشوء الكيان الفلسطيني سواء ساعدت على ذلك أو أعاقةه والظروف التي قادت إلى قيامه، من خلال تفسير علاقات الأنظمة العربية مع بعضها البعض ومع القوى الفلسطينية الفاعلة بحكم أنها تمثل نظام إقليمي عربي، دون إغفال للدور الذي لعبته السياسات التوسعية الإسرائيلية في السياسات العربية الإقليمية.

لذلك ستعمد هذه الدراسة على إثبات إدعاء علمي تحليلي قوامه، سعي أبناء الشعب الفلسطيني بمختلف شرائحه وقواته الفاعلة مثل الهيئة العربية العليا وحركة القوميين العرب وحركة فتح وغيرها من القوى الفلسطينية لتأسيس وإقامة كيان فلسطيني يمثل الفلسطينيين ويعبر عن هويتهم الخاصة بعد أن فقدوا هذا العنصر الرئيسي لوجود أي شعب عقب نكبة عام 1948، وقيام دولة إسرائيل على جزء كبير من أرض فلسطين التاريخية، مما قاد بهم للانخراط في الدول العربية وأنظمتها لتحقيق ذلك الهدف، إلا أن طبيعة العلاقات والتفاعلات بينية العربية تضمنت وجود خلافات ونزاعات فيما بين الدول العربية وقدرتها المكونة للنظام الإقليمي العربي، وأيضاً التنافس لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف والمصالح الخاصة لكل دولة والسعى الجاد والدؤوب لتعزيز القوة والنفوذ لتولي الصدارة والزعامة على مستوى

النظام الإقليمي العربي، وبالتالي فقد إنعكس شكل تلك العلاقات على هدف إنشاء الكيان الفلسطيني الذي إدعت تلك الدول باحتضانه والعمل لأجله.

وللوصول إلى الهدف من هذه الدراسة وبحث الفرض السابق ذكره، تمت الاستعانة بالنظرية الواقعية لدراسة توازن القوى والتحالفات السائدة بين القوى الفاعلة في النظام الإقليمي العربي الذي اعتمدنا لتوضيحه منهج النظام الإقليمي لتحليل العلاقات العربية المتباينة بعد وصفها وتصنيفها، وهذا ما سيتم تفصيله في التوطئة النظرية لهذه الدراسة، ومقاربتها الواقع النزاع والتنافس العربي وأثره على نشوء كيان فلسطيني.

وبالنظر إلى واقع النظام الإقليمي العربي وعلاقته بنشوء الكيان الفلسطيني سنجد أن الفترة الواقعية ما بين قيام دولة الوحدة العربية عام 1958 وبين كل من مصر وسوريا كنواة للوحدة العربية الشاملة التي مثلت التطبيق العملي لأفكار ومبادئ العقيدة القومية، في حين كان عام 1967 هو العام الذي وقعت فيه حرب حزيران (الحرب العربية-الإسرائيلية الثانية) وما آلت إليه تلك الحرب من نتائج كان من أهمها الاحتلال الكامل للأرض الفلسطينية وبعض أجزاء دول عربية أخرى كسيناء والجولان، يضاف إلى هذا كله ما تخلّه تلك السنوات من تسامي وتصاعد وتيرة الدعوة للأفكار القومية واحتلالها صدارة الطروحات ومثارات الجدل والنقاش على مستوى الساحة العربية، وبالتالي إتساع شقة الخلاف بين مؤيد ومعارض، لذلك قامت هذه الدراسة باعتماد هذه الحقبة الزمنية منذ عام 1958 حتى عام 1967.

ويكمن تصاعد وتيرة المطالبة بالكيان الفلسطيني في هذه الحقبة الزمنية، والقدرة على تحقيق هذا الهدف، هو تطور الوعي الفلسطيني الذاتي وظهور جيل جديد من أبناء الشعب الفلسطيني الذين خرجن من صلب المخيمات وذاقوا مرارة التهجير والتشرد وأفتقدوا للمقومات الأساسية المعبرة عن الهوية والشخصية الفلسطينية التي تمثلت لديهم بالكيان والإصرار على الارتقاء بقضيتهم من مستوى قضية لاجئين وإظهار الصورة الحقيقة بأنها قضية شعب يناضل من أجل إسترداد وطنه وإقامة دولته، كما أن القوى الفلسطينية تأثرت بنجاح الثورات الشعبية ضد الاحتلال في مناطق أخرى كالثورة الجزائرية مما دفعها إلى العمل على تطوير أهدافها وتوجهاتها، في ظل هيمنة المبادئ القومية المتبنية لقاعدة أن الوحدة طريق التحرير.

ولم يكن موضوع هذه الدراسة بالموضوع الجديد في الأدبيات، فقد تناوله العديد من المفكرين والكتاب من زوايا ومضمون متباعدة ومتغيرة، فوجد أن فواز جرجس في كتابه النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى، قد درس ذلك النظام العربي وتفاعلاته مع النظام الدولي في حين تناول بالتحليل طبيعة علاقات دول ذلك النظام ببعضها البعض منطلاقاً من عدة تساؤلات كان من أهمها: ماذا كان تأثير المنازعات العربية-العربية في استقرار المنطقة؟ وما هو الدور الذي قامت به إسرائيل في السياسات الإقليمية؟ وبأية وسائل استخدم الحكام العرب الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي وأساؤوا استخدام ذلك الصراع؟ وما يهمنا من دراسة جرجس هذه أنه تبني النظام الإقليمي العربي كأساس لطبيعة العلاقات العربية مؤكداً على

وجود خلافات ونزاعات وصفها بالحرب الباردة العربية، مقسمًا عناصر هذا النظام الإقليمي إلى معسكرين متضادين، ثوري ومحافظ،أخذًا بعين الاعتبار الدور الإسرائيلي في التأثير على السياسات العربية الإقليمية ولكن بعدم المبالغة فيها فقد رأى أن تركيز الدول العربية على اهتماماتها وأولوياتها وإشغال القادة العرب وأنظمتهم في التفاف الحاد لكسب القوة والنفوذ هو العامل الرئيسي في تلك السياسات العربية وتوجهاتها، في حين لم يكن محور دراسته حول الكيان الفلسطيني ودور القوى الفلسطينية الفاعلة في عملية نشوئه.

أما كتاب النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية للكاتبان جميل مطر وعلى الدين هلال، قد تمحور حول دراسة العلاقات العربية المتبادلة وتصنيفها ضمن إطار النظام الإقليمي، بإعطاء عدم الاستقرار السمة الرئيسية لحال ذلك النظام من خلال النزاعات العربية المشتركة، بعدم إضفاء صفة الحرب الباردة على هذا النزاع ومن غير أن يقسم أعضاء النظام إلى معسكرات وبإهمال عامل الأيديولوجية في التأثير على سلوكياتهم، والاكتفاء بطرح تناقضين رئيسيين داخل النظام الإقليمي العربي تمثلاً بكون أحدهما تبني الدعوة إلى القومية العربية بمضمونها ومبادئها، بينما إنطلق الآخر من منطق الدولة القطرية والتأكيد على السيادة المستقلة، كما أشار الكتاب لعامل الدور الإسرائيلي في النزاعات العربية .
البيانية.

أما كتاب بسام الطيبى Conflict and War in the Middle East, 1967-91 فيتبني منهج المنظومة الفرعية باعتبارها جزء من النظام الدولي وذلك لتحليل وتفسير العلاقات المتبادلة

داخل منطقة إقليمية معينة، فانطلق من مفهوم النظام الإقليمي للشرق الأوسط بإدخاله عناصر إضافية هي: تركيا، إيران وإسرائيل، كأعضاء في المنطقة ولاعبين مؤثرين، أي أنه لم يكتفي بوصف المنطقة بشكل نظام إقليمي عربي بالاعتماد على أهمية أولئك العناصر الثلاثة في التأثير على أحداث وتوجهات المنطقة وبالتالي عدم إمكانية فصلهم عنها، كما أنه ركز على الدور الإسرائيلي في السياسات العربية.

وهذا ستختص هذه الدراسة بالربط بين مسألة الكيان الفلسطيني والعلاقات العربية البينية، ليتم تحليل ووصف هاتين القضيتين بالإعتماد على وجود نظام إقليمي عربي يضم بين ثنياه الدول العربية والقوى والحركات الفلسطينية، في حين الذي لعبت فيه الخلافات والنزاعات العربية والتي اتخذت نموذج الحرب الباردة، دوراً مؤثراً في عملية إقامة الكيان الفلسطيني، في الوقت نفسه لعبت السياسات والممارسات الإسرائيلية دوراً ملحوظاً في توجهات الأنظمة العربية وسلوكياتها.

وستتناول التوطئة النظرية التي ستتقدم فصول البحث ما سبق ذكره بالتفصيل، وضمن إطار نظري شامل وواضح، مبيناً كل ما له علاقة بهذا الأمر، من الاعتماد على النظرية الواقعية كأداة للتحليل، وتبني منهج النظام الإقليمي لتقسيير طبيعة وشكل العلاقات العربية البينية.

بينما سيتولى الفصل الأول من الدراسة معالجة الفترة الزمنية الواقعة بين عامي 1958 و 1961، ففي المبحث الأول سينظر إلى ما كان عليه واقع حال الحركة الفلسطينية

في هذه المرحلة، ودراسة أعضائها الفاعلين وتوجهاتهم وأفكارهم وآلية العمل المعتمدة في سبيل تحقيق أهدافهم، وبالتالي تناول أهم عناصر تلك الحركة الفلسطينية من تجمعات أو مؤسسات أو أحزاب، من حيث الهيكلية والعقيدة والأهداف. أما في المبحث الثاني فستكون محور الدراسة حول نشوء وانهيار التجربة العملية لتطبيق أفكار العقيدة القومية، والتي تمثلت بالجمهورية العربية المتحدة بين كلاً من مصر وسوريا، وموقف باقي أعضاء النظام الإقليمي وكيفية تعاملهم مع ذلك الحدث، وخصوصاً موقف الفلسطينيين، وما بنوه من آمال وطموحات على تلك الوحدة بشأن قضيتهم في ظل الشعار المطروح من قبل القوميين، بأن الوحدة العربية هي طريق تحرير فلسطين.

أما في الفصل الثاني والذي يحتوي كذلك على مبحثين، فسيكون المبحث الأول مخصصاً لدراسة أهم التطورات والأحداث التي شهدتها النظام الإقليمي العربي، بالذات تلك التغيرات على طبيعة الأنظمة العربية وشكلها وما واقب هذه المرحلة في أعوام 1962 و 1963 من انقلابات وثورات، لتحليل تلك الأحداث وتقديرها والخروج بأسبابها ونتائجها، وأيضاً ما رافق ذلك من إجراءات للعديد من الأنظمة من اتخاذ خطوات عملية نحو تأسيس الكيان الفلسطيني، ليخصص بذلك المبحث لنشوء ذلك الكيان الفلسطيني الذي تمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية، ليتم تحليل الأحداث والإجراءات التي تم من خلالها ذلك التأسيس، واهم المؤتمرات والمجتمعات التي قادت لخروج تلك المنظمة، مثل مؤتمر القمة العربية الأول

والثاني، و المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، وما أفرزته تلك المعطيات من ردات فعل على مستوى الساحة الفلسطينية و العربية وكيفية التعامل مع المولود الجديد.

وفي نهاية المطاف سيبنى الفصل الثالث في البحث الأول، دراسة السنين الأولى من عمر منظمة التحرير الفلسطينية، بعد أن أصبحت أمراً واقعاً على ارض الساحة العربية، كعنصر أساسي في الصراع العربي - الإسرائيلي، وفاعلاً مؤثراً في مسار القضية الفلسطينية، وبالتالي دراسة إنجازاتها وأهدافها، ليخلص البحث الثاني من هذا الفصل، إلى المرحلة الأخيرة من تطورات النظام الإقليمي العربي في المرحلة الزمنية المخصصة للدراسة، بما مررت به وعاشته من تغيرات وأحداث، خاصةً ما بُرِزَ من مشاريع تسوية لقضية الفلسطينية و الصراع العربي - الإسرائيلي، وكذلك مؤتمر القمة العربي الثالث وما نتج عنه من قرارات في شتى الأصعدة وال المجالات، والاهتمام في هذه الحقبة وأحداثها هو ظهور نمط جديد من أنماط التنافس داخل المنظومة العربية بما تمثل بإعلان الملك فيصل التوجه نحو تأسيس الميثاق الإسلامي و الدعوة إلى المؤتمرات الإسلامية كرديف لأفكار الرئيس عبد الناصر وعقيدته القومية، وأيضاً زعمته للوطن العربي، لتنتهي مجمل أحداث الحقبة الزمنية بحرب حزيران عام 1967 وما أفرزته من نتائج .

توطئة نظرية

تطمح الدراسة من هذا القسم لوضع هيكل عام للنظريات والمناهج العلمية التي بنيت عليها هذه الدراسة، وكيف تم التعامل مع مشكلة الدراسة من خلال تلك النظريات والمناهج. فالنظرية الواقعية والتي تمثل الأساس الذي بنيت عليه الدراسة تقوم على ثلاث ركائز أساسية هي القوة والمصلحة الوطنية وتوازن القوى، وبما أننا سنتناول العلاقات في ما بين دول عربية تمثل بمجموعها نظام إقليمي، فوجب تحليل تلك العلاقات بناءً على سلوكيات تلك الدول التي أمثلت كل واحدة منها أهدافاً ومصالح خاصة، وبذلك فقد سعت لتعزيز قوتها ونفوذها على مستوى نظمها الإقليمي والحفاظ على مصالحها الوطنية وتميّتها، مما فرض العمل على إحداث توازن قوى داخل ذلك النظام لمنع تفرد أو هيمنة عضو على باقي الأعضاء، حيث تسعى سلوكيات الدول حسب الواقعية إلى ثلاث أشكال من السياسات بهدف حيازة القوة، وهذه السياسات هي: سياسة الحفاظ على الأمر الواقع وسياسة التوسيع وسياسة الهيمنة، وجميعها تتطلب الحفاظ على القوة والتلوّح بها.

وبشكل عملي وبنطاق بنود النظرية الواقعية على حال الانظمة العربية، نجد أن عامل القوة كان هدفاً رئيسياً وأساسياً عند تلك الانظمة العربية، حيث عمل النظام المصري بقيادة جمال عبد الناصر على تعزيز قوته بشتى أشكالها المادية والمعنوية، وكان هدفه تعزيز

قوة مصر من جانب، ومن جانب آخر الحد من قوة خصومه داخل النظام الإقليمي، فضلاً عن توجيهه نحو تعزيز قوته العسكرية عمل على إقامة تحالفات وإن أخذت بعدها قومياً كالحال عند إقامة دولة الوحدة مع سوريا، حيث اعتبر النظام المصري قائد للتوجه القومي مما منحه الفرصة لتولي الصدارة بين دعاة القومية وبالتالي تعزيز مكانة نظامه ونفوذه داخل النظام الإقليمي، مما فرض على أنظمة أخرى كالسعودية على سبيل المثال لا الحصر العمل على مواجهة ذلك التفرد بانتهاج نفس الأسلوب والعمل للحصول على القوة الممكنة للمنافسة والتصدي لتلك الطموحات الناصرية، وبذلك فقد قاد هذا الوضع إلى نوع ما من التوازن بسبب عدم قدرة أحد الأعضاء التفرد بالسيطرة على النظام أو إمتلاك مقومات القوة الكاملة لإخضاع باقي الأعضاء لسيطرته.

وبظل هذه الخلافات والمنافسات ما بين الأنظمة العربية وقادتها صبغت العلاقات العربية بشكل صراع مستديم يمكن وصفه بالحرب الباردة التي يتنافس خلالها أقطابها على السعي نحو إضعاف خصومهم وزيادة قوتهم دون الدخول في مواجهات عسكرية مباشرة، بل باستثمار كل الامكانيات المتاحة لتحقيق ذلك الهدف³.

وفي ما يخص النظام الإقليمي العربي فهناك عامل رئيسي يشكل الأساس لهذا النظام وهو القومية العربية، مما يفرض درجة عالية من التماسك والتلامن اللغوي والثقافي والاجتماعي، وبناءً عليه فإن مفهوم النظام الإقليمي العربي الذي يضم بين ثياته

³ فواز حرسن، 1997، ص 31

عنصري الإقليمية و القومية يعتبر الأساس الحقيقى لدراسة و تحليل شبكة العلاقات المترابطة و المتشابكة فيما بين عناصر هذا النظام⁴.

وعلى الأغلب فإن النظام الإقليمي يشير إلى ذلك النظام من التفاعلات بين عدد من الدول يجمع بينها روابط ثقافية وجتماعية واقتصادية تتمت بتجاوز جغرافي وثيق.

وقد أصبح مفهوم النظام الإقليمي بمعناه الأكاديمي العلمي كأحد مستويات التحليل في العلاقات الدولية ، حيث أن دراسة العلاقات الدولية تتميز بثلاث مستويات للتحليل ، هي مستوى النظام الدولي و مستوى الدولة (الإقليم) ومستوى الفرد⁵ ، وهو ما يتيح لنا تحليل العلاقات الدولية في إقليم معين من خلال شبكة التفاعلات البنية الدائرة بين أعضاء ذلك الإقليم ، وبالتالي طرح المنظومة الفرعية العربية كنظام إقليمي متجسد بحد ذاته كجزء من النظام الدولي و باعتباره الإطار الذي يمكننا من دراسة التفاعلات السياسية و العلاقات البنية بين أعضاء النظام و تحديد طبيعة و خصائص أولئك الأعضاء و تفسير سلوكياتهم.

ألا أن هذا الطرح بأعتماد النظام الإقليمي كأساس لوصف وتصنيف علاقات مجموعة معينة من الدول، لا ينفي بالضرورة أهمية وتأثير النظام الدولي على طبيعة العلاقات المتبادلة لتلك الدول المشكلة للنظام الإقليمي، ففي الحد الأدنى يبقى هذا النظام الإقليمي جزء من ذلك النظام الدولي، كما أن تأثيرات القوى الكبرى داخل النظام الدولي والتي تتولى مهام إدارة

⁴ علي الدين هلال و جمال مطر، النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.5، 1986) ص 14-13

⁵ Kenneth N. Waltz ,Man, the State and War : Atheoretical Analysis ,(London, Columbia University Press) PP. 224 - 238

شُؤون النظام، لا يمكن تغافلها أو تجاهلها لإرتباط صالح القوى العظمى بكل مناطق واقطاب النظام الدولي، ألا أنه ولعدم خلط الأمور والقضايا أو تشعبها، وكذلك للتركيز المباشر على القضية الأساسية لمشكلة الدراسة، فلن يكو هنالك تفصيل أو توسيع لمثل ذلك التأثير للنظام الدولي أو قواه العظمى.

و في حقيقة الأمر و على أرض الواقع نجد أن داخل النظام الإقليمي العربي عدد من الأعضاء الذين يمتلكون توجهاً نحو تشجيع فكرة السيادة القطرية المستقلة و يجدون مصالحهم فيها - مع التأكيد على مبدأ التعاون - في حين الذي لا يجاهرون فيه بع隘ية القومية و لا يؤمنون بأنها هي المستقبل الحقيقي لتطور المنظومة العربية و ثباتها و استقلالها كما يعتقد أنصار القومية المبنية على فكرة الوحدة العربية⁶.

بناءً عليه يكون النظام الإقليمي العربي في مواجهة عدة تحديات أهمها تحدي تحقيق الوحدة في مواجهة التجزئة و منطق السيادة القطرية المستقلة و كذلك تحدي مواجهة التبعية و استكمال مقومات الاستقلال الوطني داخلياً و خارجياً و أخيراً تحدي القضية الفلسطينية و الكيان الفلسطيني و مواجهة التوسيع الإسرائيلي⁷.

وبالنظر إلى النظام الإقليمي العربي بشكل اكثراً تفصيلاً ، فإن سمة عدم الاستقرار هي الأساس لطبيعة العلاقات المتبادلة بين عناصره ، حيث أن النزاعات والتحالفات تطغى على

نمط السياسات البينية المتبعة داخل النظام

⁶ علي الدين هلال و جميل مطر، 1986، ص 11-12

⁷ المصادر السابق

ومن خلال ما تم تبنيه من رؤية لكون العلاقات العربية تمثل نمط حرب باردة وسعى الأطراف المتصادرة لوقف في وجه أهداف وطموحات بعضهما البعض، يمكن توضيح الملامح الرئيسية للنظام الإقليمي العربي، بأنها تمحورت بعدها معسكرين متصادرين ، هما معسكر الثوريين و معسكر المحافظين ، فقد احتوى النظام الإقليمي العربي المعسكر الثوري بقيادة النظام المصري و رئيسه جمال عبد الناصر ، وعلى الجانب الآخر كان هنالك معسكر المحافظين بقيادة النظام السعودي الذي كان يترأسه الملك سعود بن عبد العزيز⁸.

وما يعزز هذا التقسيم للنظام الإقليمي العربي هو وجود الروابط العقائدية بين عناصر كل معسكر ، فمعسكر الثوريين يجمع بين ثياب الأنظمة الجمهورية ذات الطابع الراديكالي المناهض للغرب مثل سوريا ومصر والعراق ، أما معسكر المحافظين فكان يضم الأنظمة الملكية ذات الطابع الرجعي الموالي للغرب مثل المملكة العربية السعودية و المملكة الأردنية الهاشمية.

ولربط التفاعلات والسلوكيات فيما بين عناصر النظام الإقليمي العربي والقضية الفلسطينية ، يتوجب النظر إلى الأقطاب الفاعلة في حركات التحرر الفلسطينية كالهيئة العربية العليا ، حركة القوميين العرب وحركة فتح التي سعت لتحقيق طموحات و أمال الشعب الفلسطيني بالاستقلال وتأسيس كيان مستقل ، يكون نواة لدولة المستقبل، يعمل على تنظيم

⁸ فواز حرجس ، ص ص 18 - 20 ، وكذلك ص ص 37 - 38

أبناء الشعب الفلسطيني ومعنًّا لجهودهم نحو الهدف الأسماى وهو تحرير الأرض، غير أن عملهم هذا كان من خلال انخراطهم في القوى و الأنظمة العربية .

و بانخراط أقطاب الحركات التحررية الفلسطينية في العمل المشترك والترابط العضوي مع أنظمة النظام الإقليمي العربي حدد سير و توجه تلك الحركات في التعامل مع قضيتها ، فكانت هنالك الآراء و التوجهات المطالبة بالعمل على تحرير فلسطين وتأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة لتأخذ مكانها كعضو فاعل على مستوى الساحة العربية و الدولية و من ثم الانتقال إلى النظر بمسألة المبادئ والأفكار القومية الرامية إلى إقامة الوحدة العربية كحركة فتح، في حين الذي كان هنالك من تبني نقيض ذلك و أولئك هم أصحاب التوجه القومي و ذلك من خلال الاعتقاد الراسخ بضرورة العمل على **تطبيق الأفكار القومية** بإقامة دولة الوحدة العربية ومن ثم العمل على تحرير فلسطين واستقلالها حتى يتسمى دمجها في إطار تلك الدولة العربية الموحدة⁹ حركة القوميين العرب والعناصر الفلسطينية الفاعلة داخل حزب البعث.

وبالتالي النظر إلى الآية التي تم من خلالها التعامل من قبل الأقطاب الفلسطينية الفاعلة مع أولئك الأقطاب الرئيسية ذات الدور الفاعل في المنظومة العربية كمصر وسوريا والأردن إلخ، وكذلك كيفية التعامل مع نظام إقليمي عربي موجود و قائم على أساس

⁹ ماهر الشريف ، البحث عن كيان : دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908 - 1993 ، (يقوسيا : مركز الأبحاث و الدراسات الاشتراكية في العالم

العربي ، شركة F.K.A المحدودة للنشر ، ط 1 ، 1995) ص ص 45 - 56 وكذلك ص ص 68 - 72

محددة ، وفرض عنصر جديد – الكيان الفلسطيني – يتم ضمه إلى ذلك النظام يكون صاحب الحق في تمثيل الفلسطينيين والدفاع عنهم والمطالبة بحقوقهم .

إلا أن الأنظمة والقوى العربية – عناصر النظام الإقليمي – وبناء على النزاعات الدائرة في علاقاتهم البنية وانقسامهم إلى معسكرين متضادين وسعدهم لتحقيق مصالحهم الخاصة عملوا على تسيير القضية الفلسطينية حسب ظروفهم ومصالحهم ومعطيات العلاقات القائمة بينهم، كما اعتمد عناصر النظام الإقليمي العربي على اكتمال عناصر نظامهم المكون من دول قائمة وبالتالي ليس هناك مكان لنشوء دولة أو كيان جديد، فكل دولة تحاول أن تحافظ على كيانها ومكانتها ومكتسباتها، وليس هناك إمكانية للتنازل عن ما تم امتلاكه خاصة بظل وجود طموحات هادفة للتوسيع وتعزيز الإمكانيات لتحقيق القوة والهيمنة¹⁰، وهو ما يمكن مقارنته بسهولة مع طروحات النظرية الواقعية حول سلوكيات الدول.

لقد واجهت قضية إنشاء كيان فلسطيني مستقل مصاعب ومعوقات بناءً على سلوكيات الأنظمة العربية المكونة للنظام الإقليمي العربي، حيث احتضنت تلك الأنظمة القوى الفلسطينية الفاعلة في النضال الفلسطيني وتتفاوت على توجيهها في مواجهة العناصر الأخرى داخل النظام وبهذا أصبحت القيمة الاستراتيجية الهامة للقضية الفلسطينية نعمة عليها لا نعمة لها.

¹⁰ Charles Tilly, War Making and State Making As Organized Crime , in : Peter B. Evans , Dietrich Rueschemeyer and Theda Skocpol, (New York, Cambridge University Press, 1985) PP.169 - 184

بناءً على كل تلك المجريات والتفاعلات فقد أضحت المسرح السياسي للنظام الإقليمي العربي يسير نحو أزمة شبه دائمة أصبحت فيها استراتيجية السياسات العربية البنية مبنية على العمل على خلق توازنات مستمرة داخل نظمهم الإقليمي.

الفصل الأول

المسألة الفلسطينية والعرب في العربية الباردة

الفصل الأول

المسألة الفلسطينية وال الحرب العربية الباردة

لقد كانت الأعوام الثلاث الممتدة ما بين عامي 1958-1961 هي الأعوام الوحيدة التي شهدت تطبيق الأفكار والمبادئ القومية العربية، من خلال ذلك الوليد الضعيف الذي خرج للكون قبل أوانه، ألا وهو دولة الوحدة ما بين الجمهورية العربية المصرية والجمهورية العربية السورية، والذي أطلق عليه لقب الجمهورية العربية المتحدة. غير أن هذا الكيان المصطنع (الجمهورية العربية المتحدة) كان مكتوباً له الفناء منذ قيامه، فقد حمل بذور فنائه بداخله، وذلك لقيمة على عامل الترابط العضوي بين شخص الزعيم المصري العربي جمال عبد الناصر -رئيس النظام المصري أحد المنظرين الأوائل لعقيدة القومية العربية- وبين مختلف شرائح جماهير الشعب العربي السوري¹ المشبع بأفكار تلك العقيدة القومية العربية التي تنادي بوحدة الأقطار العربية في كيان واحد متعدد، بناءً على كل ما تبنته من أسس وقواعد لتاريخ مشترك ولغة واحدة، تقادمة متماثلة بالإضافة إلى وحدة الدين الإسلامي -الفئة الغالبة-، لكن هذا الترابط الغير متواافق وغير متكامل لم يكن العامل الوحيد الذي أدى إلى فناء ذلك الكيان الوحدوي، بل أن هناك عدد من المتغيرات الأخرى ذات الأهمية البالغة والتي لعبت دوراً أساسياً لإنهاء استمرارية وديمومة بقاء ذلك الكيان .

¹ محمود سعيد، التجربة النضالية الفلسطينية: حوار شامل مع جورج حبش، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط. ١، ١٩٩٨) ص ٢٦.

ومن هذه المتغيرات طبيعة الأوضاع والظروف التي كان يمر بها عصري الجمهورية العربية المتحدة من كونها قطرين فتيلين، حديثاً العهد بالاستقلال، يفقدان لعوامل الاستقرار والتطور والقوة، وتقصهما الخبرة في شتى المجالات الحياتية أكانت سياسية أم اجتماعية إلى غيرها من المجالات الأخرى، وبهذا لم يكن قطري الوحدة على أتم الجاهزية والاستعداد لخوض تجربة تقود بهم إلى الارقاء إلى التطبيق العلمي لمباد العقيدة القومية التي كانوا يتبنونها².

وبالرغم من أن تلك الوحدة قامت نقل الأفكار القومية لحيز التطبيق العملي على أرض الواقع، إلا أنها كانت بشكل أو بآخر تم عن مظهر من مظاهر التناقض والتواءزع الدائري داخل النظام الإقليمي العربي ككل في تلك الحقبة، مما عزز وجعل بفناء مشروع التطبيق العملي للوحدة العربية. فقد سادت علاقات عناصر المنظومة في آنذاك العديد من أشكال التوترات والتباينات، بالذات على صعيد السعي الجاد والدؤوب لاحتلال مراكز الصدارة والزعامة على مستوى نظامهم العربي، وبالتالي كان أحد أشكال الممارسات لتحقيق هذا الطموح هو إقامة تكتلات ذات ثقل كبير تعمل على تغيير حالة كفتي الميزان لصالح طرف معين مقابل الطرف الآخر³.

حيث أنه من خلال النظر إلى الواقع الحقيقي للنظام الإقليمي العربي نجد أنه كان قد أنقسم على نفسه لمعسكرين متاحرين متضادين، عقائدياً وسياسياً، متمثلاً بمعسكر

² المصدر السابق، ص 19

³ أحمد يوسف أحمد، الصراعات العربية – العربية: دراسة استطلاعية (1945-1981)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط. 2، 1996)، ص 119-121.

المحافظين ومعسكر الثوريين، كان الرئيس عبد الناصر بحد ذاته زعيمًا لهذا المعسكر

الأخير في مواجهة سعود بن عبد العزيز ملك السعودية - زعيم معسكر المحافظين.

وفي خضم هذه الأحداث كلها كانت القضية الفلسطينية، بكل ما احتوته من

مضامين، تتعايش مع عناصر المنظومة العربية وتفاعلاتها المتبادلة، غير أن مسألة إنشاء

كيان فلسطيني مستقل. يعمل على تمثيل الفلسطينيين وتنظيمهم للارتفاع بهم إلى استعادة

حقوقهم وتأسيس الدولة الفلسطينية كانت الأكثر أهمية وحساسية من خلال تلك المضامين

التي أشرنا إليها.

وبما أن شعار تحرير فلسطين كان هو القضية المركزية للعقيدة القومية إلى جانب

الوحدة العربية، فكان لزاماً على القضية الفلسطينية أن تكون على محك مباشر مع

تفاعلات النظام الإقليمي العربي، وبالتالي كان كل عنصر من عناصر هذا النظام يسعى

لاستخدام وتسخير هذه القضية في مواجهة العناصر الأخرى في عملية التنافس والتوافر

التي كانت جارية فيما بينهم، فأصبحت قومية القضية الفلسطينية للفلسطينيين بحد ذاتهم

عامل تعطيل وإبطاء لإحياء كيان خاص فيهم، يتولى مسؤولياتهم، وكذلك سلب ذلك

التنافس والتوافر تجربة الوحدة التجدد من الذات والموضوعية في معالجة المعوقات التي

تواجه التوجه الوحدوي وبالتالي الانحدار نحو الانهيار.

المبحث الأول

هيكلية الحركة الوطنية الفلسطينية

لقد جاءت حرب عام 1948 بغيرات كبيرة على الفلسطينيين وخاصة على مستوى المركزين القانوني والسياسي لما تبقى من أجزاء أرض فلسطين التاريخية والتي لم تصل إليها يد الاحتلال الإسرائيلي -آنذاك- فجاء الإحباط والانكسار الفلسطيني كنتيجة طبيعية لعدم ممارسة سيادته على ما تبقى من أجزاء وطنهم، حيث خضع قطاع غزة للإدارة المصرية، بينما جرت عملية الضم للضفة الغربية من قبل المملكة الأردنية الهاشمية وخضوعها لسيادتها الكاملة، غير أن الأمر الذي عمل على تعزيز هذا الوضع هو الافتقار إلى برنامج فلسطيني خاص نتج عن ضعف حركة وطنية فلسطينية فاعلة⁴.

وهكذا بعد أن خسرت تلك الحركة الفلسطينية كيانها الوطني واستقلاليتها على عكس ما حظيت بهحركات التحررية الوطنية في الأقطار العربية الأخرى من تحقيق لبرامجها واستقلاليتها -آخذين بعين الاعتبار التفاوت والخصوصية فيما بينها -، فقد كان الملجاً الأفضل أمام الحركة الفلسطينية هو الانخراط والاندماج في إطار العروبة بما

⁴ عيسى الشعبي، الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي و التطور المؤسسان 1947-1977 ، (بيروت: مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ط.1، 1979) ص 47

تحتويه من أجهزة ومؤسسات اجتماعية وسياسية وحزبية⁵، حيث انصب الجهد الفلسطيني على العمل ضمن قوالب عربية كانت في معظمها قومية الطابع⁶، ففي سنين الخمسينات توزع الاهتمام بالشأن الفلسطيني على مسارب عربية، بعض المسارب كان قطرياً بحثاً وبعضها كان قطرياً عاماً، لكن لم يكن بينها مسرب فلسطيني خاص ذو وزن يعتد به وتحقق الغلبة للعربي العام وطروحاته المتماثلة أو المختلفة⁷، حيث كان ذلك بسبب ضعف الحركات الوطنية الفلسطينية وقلة امكانياتها وكذلك ضعف قدرتها على احداث عمل مؤثر على المستوى الإقليمي والدولي يفرز نتيجة تتلاطم ومسار قضيتهم وأهدافها، فالفلسطيني عربي وقومي، لكن ماذا عن من يتحدث باسمه أو يمثله، فهو بدون وطن وبدون توحد، فالمصري أمن لأن لديه مصر، والعراقي والسوري ...الخ والكل عربي وقومي⁸، لكن الفلسطيني أضحي بدون كيان سياسي مستقل يعبر عنه، وعلى الرغم من ذلك فقد أحافظ الفلسطينيون بوعيهم الوطني وبنפרד هويتهم وخصوصية قضيتهم واحتمالية كيانهم المستقل، فقد أصبح تطلعهم نحو نظام اجتماعي وسياسي متكامل، يعبر عنه بكيان ذو مؤسسات يحتل مكانه الطبيعي في النظام الإقليمي العربي والنظام الدولي، إلا أن ذلك كله لم يمكنهم من الوصول إلى إقامة برنامج وطني خاص يرتفق بهم للإمساك بزمام قيادة الشعب وتأسيس الكيان المستقل المنشود⁹.

⁵ اسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية : جذورها تأسيسها مسارها، (قرص نيكوسيا: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1987) ص.36.

⁶ لجنة من الباحثين، القضية الفلسطينية في اربعين عاماً: بين ضراوة الواقع... وطموحات المستقبل ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1989) ص 167.

⁷ ناهض زقوت، 2000، ص 39

⁸ شفيق الخطوت، عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، دت) ص 70.

⁹ عيسى الشعبي، 1979، ص 48-49.

وهو الأمر الذي لا يتنافى مع كون الفلسطيني يؤمن بالمبادئ القومية، فهذه هي الدول العربية ترفع شعار القومية وتتادي بها وفي نفس الوقت تتمتع باستقلالية كيانها وسيادتها، فلماذا لا يكون الفلسطينيون مثل باقي الأقطار العربي يملكون لكيان المستقل ويسعون نحو الوحدة ويعملون لأجلها.

وفي الوقت الذي حفل فيه عام 1956 بعدة أحداث على صعيد الصراع العربي الإسرائيلي منها العدوان الثلاثي على مصر وكذلك ما رافقه من اجتياح إسرائيل لقطاع غزة واحتلاله¹⁰ حتى عام 1957 -على وجه التحديد من 2/11/1956 إلى 14/3/1957- وشكل هذا الهدف للحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا فرصة جيدة من أجل إبراز الحاجة للتضامن العربي أمام "العدو الصهيوني" وقد أشار إلى هذا العدوان الثلاثي بأنه إثبات لإدعائه حول العلاقة بين الاستعمار واليهود ضد الأمة العربية وأشار إلى أن المقاتلين الفلسطينيين حاربوا جنباً إلى جنب مع الجيش المصري لصد الهجوم الموجه ضد مصر وقطاع غزة، معتبراً عملهم هذا معركة بطولية، حيث عمل الحاج أمين على تسجيل دوره الواضح في زيادة التوتر على الحدود بين مصر وإسرائيل، الأمر الذي كان من بين العوامل التي عجلت بنشوب تلك الحرب¹¹.

وقد ألمت هذه التجربة بظلالها على تجربة المقاومة الفلسطينية لتطوير وتحفيز الدور الفلسطيني الخاص للعمل من أجل قضيتهم وإمكانية استمرارية العمل والتعاون في سبيل مقاومة الاحتلال ومتابعة السير على طريق خلق جهد مشترك منظم معبئ يقود بهم

¹⁰ حسين أبو النعيم، قطاع غزة 1948-1967 : تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1979) ص 144.

¹¹ نسيم البيلع، المفق الأكبر ، ترجمة مصطفى كيهان، (عكا:منشورات الأسوار، 1983) ص 206-207

للتمرد والثورة لبناء وجود سياسي فلسطيني خاص، أي بما معناه تطور النظرة والفكرة لفلسطين لتصبح فلسطين الدولة، المؤسسات، الكيان الحقيقى الممثل لجميع قطاعات أبناء الشعب الفلسطينى، حيث عبرت حركة فتح بكل سراحة عن مثل هذا الطرح منذ نشوئها فى حين الذى لم تكن طروحات القوى الفلسطينية الأخرى كحركة القوميين العرب أو الهيئة العربية العليا ترقى لهذا المستوى إلا في المراحل المتأخرة من نشوء منظمة التحرير الفلسطينية، فلقد كان لعامل عدم امتلاك كيان سياسى فلسطيني مستقل منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية دور حاسم في عدم أدراراً مضمون وأهمية ذلك الكيان¹².

إذاً وبناءً على التراكم الزمني المتعاقب لعملية البحث عن الذات وعن الدور الخاص بدأ الوعي الفلسطيني يلتقط أنفاسه الأولى لبلوره أهدافه وقوانيقه ل برنامجه الوطنى المستقبلي.

ومن خلال ما تم ذكره كان قطاع غزة يشهد في عام 1958 أول تجربة للممارسة شكل من أشكال الحياة السياسية حينما صدر دستور خاص بقطاع غزة وتم تشكيل أول مجلس تشريعي يمثل الفلسطينيين بالرغم من كون أعضاء هذا المجلس معينين تعينه مباشرةً من قبل الإدارة المصرية - وليسوا منتخبين، أضف إلى ذلك تم تشكيل أول مجلس تنفيذي كان أغلبية أعضائه من ضباط الإدارة المصرية، كما كان الحاكم الإداري المصري للقطاع هو رئيس هذا المجلس، يضاف إلى ذلك كل أعضاء هذا المجلس التنفيذي هم أعضاء طبيعيين في المجلس التشريعي، وبذلك تكون مثل هذه المحاولة هي بمثابة الخطوة الأولى للاستجابة لاصرار وعزم الفلسطينيين على بناء مؤسساتهم

¹²Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State, New York, 1997.pp. 65-68

وأجهزتهم الخاصة، سعياً نحو إيجاد كيان خاص بهم، بالرغم من كون هذا المجلس يفتقد للفاعلية ومفرغ من المضمون الحقيقي للمجالس التمثيلية للشعوب، حيث كان النظام المصري يتولى مهام إدارة قطاع غزة منذ عام النكبة 1948 في أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، لهذا تولى أمر إعداد مثل هذه الإجراءات كمتنفس سياسي لأولئك الأفراد القاطنين فيه بعد أن حرموا ممارسة الحياة السياسية منذ أزل بعيد بالذات منذ العام 1948 كما أشرنا¹³.

إلا أن مثل هذه الإجراءات، كانت بحقيقة كتوجه عبد الناصر لتبني عمل فعلي على أرض الواقع على صعيد القضية الفلسطينية في مواجهة المنافس الجديد عبد الكريم قاسم الذي ما لبث أن وصل إلى سدة الحكم عقب الثورة عام 1958، حتى انبرى يتصدى لزعامة ناصر، وما زاد الأمر تعقيداً هو التناقض الذي كان قد وقع بين ناصر والحسيني، فجعل الحسيني بالتحالف والتقارب مع قاسم، فزادت نقمة النظام المصري على الحسيني¹⁴، وفي مقابل ذلك لم تحاول حركة القوميين العرب الخروج عن النهج الناصري الذي تقارب معه وانضمت تحت لوائه، فلم تجاهر بانتقاد التجربة وإظهار عيوبها.

وفي أعقاب تلك الأحداث قامت الجمهورية العربية المتحدة في العام 1959 بتشكيل الاتحادات القومية العربية الفلسطينية في أماكن تجمعات الفلسطينيين من أبناء الشعب الفلسطيني المقيمين في هذه التجمعات، فقام أولًا الاتحاد القومي العربي الفلسطيني لقطاع غزة ثم تبعه بعد ذلك اتحاد الفلسطينيين في مصر (الإقليم الجنوبي) وعلى أثرها

¹³ عيسى الشعبي، 1979، ص 73-75.

¹⁴ نسيم البليغ، 1983، ص 208-210.

اتحاد الفلسطينيين في سوريا (الإقليم الشمالي)، حيث كان من المخطط له أن تتوحد هذه الاتحادات لتشكيل نواة تعمل على تنظيم الفلسطينيين واستقطابهم¹⁵.

غير أن هذا الاتحاد الذي رعاه الرئيس عبد الناصر وأشرف على إقامته لم يخرج عن نهج التنافس والعدائية التي انطلقت بينه وبين قاسم منذ وصول الأخير للحكم، وكذلك التقارب الكبير الذي حدث بين الحاج أمين الحسيني وقاسم، والمطالبات التي شرعا بالاعلان عنها بضرورة إقامة جمهورية فلسطينية، وذلك ما أعلنه قاسم صراحة في خطاب ألقاه بمناسبة يوم الجيش العراقي عام 1959، وفي نفس الوقت حافظت حركة القوميين العرب على موقفها لعبد الناصر، خاصة بعد أن تدهورت علاقتها مع النظام الحاكم في العراق وزعيمه قاسم، وشكلت الحركة ائتلافاً مع البعث العراقي ضد توجهات قاسم وأهدافه، بناءً على سلوكياته وتوجيهه الضربات لقوى القومية التي أوصلته للحكم¹⁶.

وفي حقيقة الأمر كان التطور الكبير في العام 1960 الذي أفضى إلى شكل شبه حقيقي في الممارسة للفلسطينيين، ألا هو إعادة تشكيل تلك الاتحادات الأنفة الذكر، ولكن هذه المرة على أساس الانتخاب وليس التعين، حيث قام الفلسطينيين من خلال الانتخابات العامة بانتخاب الهيئات السياسية القائمة على تلك الاتحادات بكامل شخوصها من القاعدة

¹⁵ Laurie A Brand, Palestinians in the Arab World: Institution Building and Search for State, New York, Columbia Uni Press, 1988, PP.27-28.

¹⁶ محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر ، (دمشق: مركز العربي للدراسات الاستراتيجية، ط. 1، 1997) ص 129-127

إلى القمة، ولكن وبناءً على طبيعة المهام والأدوار الموكلة لتلك الاتحادات فقد بقيت تلك الهيئات المنتخبة شكلاً ومحجّمة الأداء في الحياة السياسية¹⁷.

وحتى لا نبقى بعيداً عن ما كان يحدث في الشطر الآخر للأراضي غير المحتلة من فلسطين –آنذاك- ألا وهي المنطقة التي أطلق عليها الضفة الغربية، فقد خضعت هذه المنطقة وكما هو معلوم لعملية ضم من قبل النظام الهاشمي في الأردن، كمحاولة لجعلها جزءاً لا يتجزأ من إقليم المملكة الهاشمية، حيث تم ذلك من خلال رفض الأمير عبد الله أمير إمارة شرق الأردن الاعتراف بحكومة عموم فلسطين، وأوعز إلى رجاله وأعوانه فاجتمعوا في مؤتمر في مدينة أريحا بايعوه فيه بالملك في الأول من تشرين الثاني عام 1948، وفي السابع عشر من آذار عام 1949 الغى الاحتلال العسكري وحوله إلى إدارة مدنية تابعة للحكومة الأردنية، ثم قام باستبدال أسم شرق الأردن بالمملكة الأردنية الهاشمية، وفي أوائل أيار 1949 شكل أول حكومة تضم وزراء فلسطينيين، وفي منتصف نيسان عام 1950 جرت أول انتخابات نيابية في المملكة المستحدثة، ثم اجتمع المجلس النيابي مباشرةً ووافق على عملية الضم للضفة الغربية والتي حملت ذلك الأسم منذ ذلك الوقت¹⁸، وبالتالي فقد خضعت منطقة الضفة الغربية لسيادة الأردن منذ عام 1948 ومارست الحكومة الأردنية جميع أشكال وممارسات الحكم فيها وفي شتى المجالات، مستعينةً في ذلك على استقطاب بعض الزعامات أو شيوخ القبائل وكبار العائلات أو من أولئك الذين يوصفون بالبرجوازية وأصحاب المصالح الخاصة لإعطاء الوجه الشرعي

¹⁷ فلسطين حار، الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، ط.2، 1966) ص128.

¹⁸ ائس الصابع، الماشيون والقضية الفلسطينية ، (منشورات حرية المحرر المكتبة العصرية، 1966) ص320

لذلك الضم، وبذلك حرر جموع الجماهير الفلسطينية داخل الضفة الغربية في كل أشكال السيادة السياسية والقانونية على أرضهم مما حرّمهم من ممارسة الحياة السياسية وبالتالي كانوا كإخوانهم في الشطر الآخر، قطاع غزة، فاقدين للشخصية والكيان الحر المستقل¹⁹. وبالرغم من هذا كله فقد بدأت تتبادر الشخصية الفلسطينية سياسياً وتنظيمياً شيئاً فشيئاً ولم تعد مجرد انتماء، وأصبحت قضية إنشاء كيان فلسطيني يعبر عن الطموحات الوطنية مطلب ضروري ومتvens لغضب الجماهير الثائرة على الواقع المريض، وهو الأمر الذي كان على الدول العربية محاولة تحقيقه صوناً لمصالحها²⁰.

ولإيجاد قواعد تنظيمية جديدة ولخلق فعل فلسطيني منظم وإنشاء وجود سياسي فعلي وفعال، بدأت بعض العناصر والأقطاب الفلسطينية السعي الجاد والدؤوب لتحقيق ذلك المطلب الأساسي بتكرис الكيان الوطني الثوري الفلسطيني وبعث الروح فيه، حيث أن تلك الأقطاب والعناصر كالهيئة العربية العليا وحركة القوميين العرب والعناصر الفلسطينية داخل حزب البعث، التي تعيش في قلب الجماهير الفلسطينية أينما وجدت تشاركها كل أهدافها وطموحاتها المشتركة لتحقيق المطالب الوطنية الفلسطينية، وكذلك متاثرة بالحركة القومية والتحررية العربية في إطار تفاعಲها المشترك معها، حيث تركز ذلك في الأعوام الأخيرة لعقد الخمسينات²¹.

¹⁹ Clinton Bailey, Jordan's Palestinian Challenges 1948-1983, The Hebrew Uni of Jerusalem, by West View Press Inc, USA, 1984. PP. 2-15. And. Shaul Mishal, West Bank East Bank: the Palestinian in Jordan 1949-1967, Yale Uni Press, 1978, London. PP.74 -75.

²⁰ أميل توما، منظمة التحرير الفلسطينية ، (دار الاتحاد للطباعة و النشر، إصدار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1986) ص 112

²¹ غبية من الكتاب والباحثين، القضية الفلسطينية في نصف قرن ، (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، ط.1، 1999) ص 196-197

وبالاعتماد على تلك التطورات والأحداث وما أفرزته من نتائج يفسح المجال أمام التطرق إلى أهم الحركات والتنظيمات الفلسطينية التي نشأت من خضم التفاعلات المشار إليها، وكذلك إلى أنماط العمل السياسية لتلك الحركات والتنظيمات بالإضافة إلى التوجهات العامة، الأيديولوجيات، الأهداف، الشعارات إلى غيرها من الأمور، وذلك بعد نسيان أو تجاهل أن الاعوام التي سبقت عام 1948 وتحديداً بعد نهاية عهد الإمبراطورية العثمانية وفرض الاندماج البريطاني على فلسطين، لم تخلو الساحة الفلسطينية من التنظيمات والقوى الفلسطينية التي عملت جاهدةً من أجل تحرير البلاد وتحقيق الاستقلال وأنشاء الدولة الفلسطينية، وناضلت بشتى السبل والأشكال وأقامة الثورات والأضرابات، وحملت السلاح ودافعت بكل ما أوتيت من قوة لتحقيق أهدافها.

الهيئة العربية العليا

لقد كان لاندلاع ثورة عام 1936 في فلسطين وبدأ الإضراب العام الذي انطلق في شهر نيسان من نفس العام الواقع والصدى الكبیرين على مختلف شرائح المجتمع الفلسطيني من حركات واحزاب سياسية ومهنية وعسكرية، في حين الذي انطلقت فيه المظاهرات العارمة التي عممت المدن والقرى الفلسطينية مطالبةً تلك القيادات والزعamasات الفلسطينية الوطنية باتخاذ إجراءات حاسمة لتفعيل النضال الشعبي وتشكيل قيادة وطنية موحدة ، تعمل على توجيه واستثمار الجهد والحس الوطني لمقاومة الاحتلال الإنجليزي و المشاريع الاستعمارية "الصهيونية" لصيانة عروبة فلسطين والعمل على استقلالها²².

²² عيسى عليل عيسى، فلسطين وساحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني ، (عمان: مطبعة الصخرة، ط.1 ، 1998) ص165

وبهذا وجهت الدعوة من قبل معظم الأقطاب الفاعلة على مستوى الساحة الفلسطينية لعقد مؤتمر لتلبية المتطلبات الجماهيرية الوطنية، واتخاذ الخطوات الازمة لدرء الخطر ومواجهة التحديات، وبالفعل عقد مؤتمر اللجان القومية في القدس في أواخر نيسان من نفس العام²³، وخرج المؤتمر بقرار تشكيل "الهيئة العربية العليا"، واقر المؤتمرون تولي الحاج محمد أمين الحسيني رئيساً لهذه الهيئة²⁴، فقد كان الحسيني يشغل منصب مفتى فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، حيث كان يعد من القيادات الفلسطينية الأولى و المتميزة²⁵، كما اقر المؤتمر تولي تلك الهيئة قيادة العمل الوطني الفلسطيني وتشكيل لجان قومية على مستوى الساحة الفلسطينية جماء، وكذلك تفعيل الإضراب العام وتوجيهه وضمان استمراريته، إلى غيرها من القرارات و الإجراءات المهمة على صعيد النضال والمقاومة الفلسطينية²⁶.

فمنذ عام 1948 سعى الحاج أمين في البداية جاهداً بكل السبل منع عملية الضم التي شرعت الأردن في اتمامها غير أنه فشل في ذلك بالرغم من إقامته مؤتمر في مدينة غزة في مقابل ذلك المؤتمر الذي أقيم في أريحا، كما أنه فشل في انتزاع تأييد مصر وموافقتها على إعطاء الهيئة العربية العليا التي كان يرأسها وحكومة عموم فلسطين أية

²³ على محافظة، الفكر السياسي في فلسطين: من نهاية الحكم العثماني إلى نهاية الانتداب البريطاني 1918-1948 ، مركز الكتب الأردني، د.ت ، ص.70.

²⁴ بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948 ، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط.3 ، 1986) ص.336.

²⁵ الموسوعة الفلسطينية - القسم العام - المجلد الرابع (دمشق: ط.1 ، 1984) ص 138-140 .

²⁶ زهير الماردوني، ألف يوم مع الحاج أمين ، (دار العرفان، ط.1 ، 1977) ص 77-78

سلطة أو صبغة قانونية في قطاع غزة²⁷، بالرغم من تقاربه مع الملك فاروق وعلاقته الطيبة معه.

وعقب ذلك كله واصل الحاج أمين نشاطه ونشاطه من خلال مقره في القاهرة، وبطبيعة الحال فقد أخذت علاقته مع الأردن ونظامها تسوء وتشتد عداوةً، إلا أن الهيئة العربية العليا وفي أعقاب النكبة بدأت تواجه مصاعب جمة كان من أهمها المصاعب المادية، من تأمين للموارد المالية للقيام بعبء المصاريق والالتزامات.

ولم يقف الأمر على هذا الحد فقد بدأت علاقة الحاج أمين بالنظام المصري تسوء شيئاً فشيئاً نتيجة لتأييد الحاج أمين لجماعة الاخوان المسلمين، وللخروج من هذا المأزق لجأ الحاج أمين إلى التقارب مع المملكة العربية السعودية التي كانت قد عارضت الضم الأردني للضفة الغربية بالرغم من طيب العلاقات بين النظامين في تلك الفترة وذلك لرفض الأولى الأفكار التوسعية للمملكة الأردنية، غير أن امال الحاج أمين في هذه الخطوة قد ذهبت ادراج الرياح أيضاً، فلم تتجاوب السعودية ونظامها مع مطالبه واهدافه، وهكذا فقد أدت تلك السنين الأولى من عمر النكبة إلى تدهور مكانة الحاج أمين وتراجع شعبيته ونفوذه²⁸.

ولكن بالرغم من هذا كله فلم يوقف الحاج أمين نشاطه، فقد بقي يتنقل من عاصمة عربية إلى أخرى ويجري اللقاءات مع الرؤساء والوزراء العرب في تلك العاصمة، ويرفع

²⁷Laurie A Brand,1988, p.p22-29

²⁸ تسفى البليغ، 1983، ص 195-198

المذكرات إلى المؤتمرات ويشارك بعده منها بالذات تلك التي تنظم على الصعيد الفلسطيني بين اللاجئين أو على صعيد المؤتمرات الإسلامية.

وفي اعقاب قيام الثورة في مصر عام 1952 وإقصاء النظام الملكي عنها، بدأت علاقات جيدة بين الحاج أمين مع النظام الجديد، فقد ربطته علاقة خاصة مع عبد الناصر منذ عام 1948، غير أن هذه العلاقات لم تستمر أكثر من عامين وقد كان السبب في ذلك هو تردي العلاقة بين النظام الثوري في مصر والمحافظ في السعودية، وبطبيعة الحال فقد كان تقارب الحاج أمين وعلاقته الجيدة بالنظام السعودي سبب تردي علاقته بالنظام المصري، كما يضاف إلى ذلك فقد كان الحاج أمين من المقربين لجماعة الاخوان المسلمين الذين أشتد العداء بينهم وبين ناصر منذ مطلع عام 1954²⁹ بالاعتماد على محاولة الاغتيال التي أقدمت الجماعة على تنفيذها ضد عبد الناصر ولكنها باعت بالفشل.

غير أن عبد الناصر ابقى على وجود الحاج أمين في مقره بالقاهرة للحفاظ على تواجد الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين فيها، للمحافظة بالتالي على ورقة القضية الفلسطينية في يده خصوصاً في وجه خصومه من القادة العرب، وإبقاء المصداقية على طروحات القومية العربية التي تتبنى القضية الفلسطينية كقضية مركزية. وعلى هذا النحو فقد بقي الحاج أمين طوال فترة الأعوام الممتدة ما بين عامي 1948-1958 ثابتاً على موافقه، فقد بقي رافضاً لعملية الضم التي قامت بها الأردن للضفة الغربية ويطالب بإلغائها، كما أنه بقي رافضاً لكل طروحات التفاوض أو التقسيم

²⁹ المصدر السابق، ص 200-199

حول الحقوق الفلسطينية، مؤكداً على ضرورة إزالة إسرائيل واستعادة كامل أرض فلسطين.

وانطلاقاً من تلك الأحداث مارست الهيئة العربية العليا قيادة العمل الفلسطيني وزعامتها إلى فترة زمنية طويلة، نجح خلالها الحسيني من قيادة المقاومة الوطنية الفلسطينية وجمع شمل الحركات والأقطاب الفلسطينية وتوجيهها³⁰، إلى أن بدء نجمها يخفت شيئاً فشيئاً بعد نكبة عام 1948، لتفقد بذلك تدريجياً مكانتها المرموقة وتفقد كذلك سيطرتها على زمام الأمور بالعمل الوطني الفلسطيني.

الاتحاد العام لطلبة فلسطين

يعتبر هذا الاتحاد من أهم المقومات الرئيسية التي ساعدت على تشكيل ونمو الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة، فقد مثل أول مؤسسة فلسطينية علنية تقوم في أعقاب عام 1948 وبجهد فلسطيني مستقل وكذلك بتوجيه وإدارة فلسطينية لجنة من خلال بعض أفراد الشباب الفلسطيني الواعي والطموح، يضاف إلى ذلك أن هذا الاتحاد قد استمد أهميته التاريخية ببناءً على ما تم تخریجه من عدد غير قليل من القادة والعناصر السياسية الفاعلة التي انخرطت بالحركات الوطنية والقومية الفلسطينية وتصدر بعضها لزعامة بعض تلك الحركات³¹.

³⁰ أريك رولو، فلسطين بلا هوية : أبو أياد "صلاح علّف" ، نقلها إلى العربية ناصر مروة، (القدس: مؤسسة صيام للدعابة والنشر، 1980) ص 63.

³¹ اسعد عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص 40-41 ، كذلك انظر عيسى الشعبي، مصدر سبق ذكره، ص 58.

فبعد أن كان قد أنشأ رابطة للطلاب في كل من بيروت، القاهرة، دمشق، والإسكندرية، في أوائل الخمسينات، تم دعوة تلك الروابط -بجهود ذاتي مستقل- لبناء هيكل أو جسم واحد يضمهم، وبناءً عليه تم تأسيس الاتحاد لطلبة فلسطين في القاهرة عام 1959، وبهذا كان هذا الاتحاد أول مؤسسة كيانية علنية فلسطينية تقوم على أساس الانتخابات الحرة المباشرة، بعد أن حرم الشعب الفلسطيني من هذا الامتياز كشكل من أشكال الممارسة للحياة السياسية، وقد جمع ذلك الاتحاد الفلسطيني بين صفتين، وإن طغت إداهما على الأخرى، فكانت الصفة الأولى بمثابة الإطار الشرعي للعمل السياسي بالشكل الذي يعبر عن حركة سياسية، وأما الصفة الثانية فهو كونه مؤسسة نقابية تعمل ضمن الإطار النقابي الصرف، وفي الحقيقة كانت الصفة الأولى هي الغالبة على عمل ونشاط الاتحاد، وقد حظي اتحاد الطلاب هذا باعتراف رسمي من جهات رئيسية وهامة مثل جامعة الدول العربية وكذلك اتحاد الطلاب العالمي وغيرها من الجهات الرسمية³².

وربما كان التأثير الفعلي لهذا الاتحاد بعد أن استطاع الانتشار خارج النظام الإقليمي العربي وبالذات داخل الدول العظمى كالولايات المتحدة الأمريكية، فعمل جاهداً لإيضاح الصورة الحقيقة للقضية الفلسطينية من خلال نشاطاته وبرامج عمله.

فوج التحرير الوطني الفلسطيني

تأسس هذا الفوج في آذار 1960 بمبادرة رسمية من قبل الحكومة العراقية بزعامة رئيس جمهوريتها عبد الكريم قاسم الذي كان له الدور الأساسي في إخراج هذا

³² شحادة موسى، حول تجربة الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 5 ، تشرين الثاني 1971، ص 181.

الفوج إلى حيز الوجود في الحين الذي لعبت فيه الهيئة العربية العليا ورئيسها الحاج أمين الحسيني دور الرعاية التامة لتأسيس ذلك الفوج³³.

لقد أسس هذا الفوج على مزاعم أساسها تكوين نواة لجيش فلسطيني مسلح ومدرب على أساس عسكرية حقيقة، ليأخذ بعد ذلك صفة الشمولية ويصبح الجيش الذي يضم معظم أبناء فلسطين في الشتات وفي الأراضي التي لم تخضع للاحتلال الإسرائيلي - حتى ذلك الوقت - وليتولى دوره الريادي والطليعي في المعركة الحاسمة لتحرير فلسطين.

وقد كان معظم جنود هذا الفوج هم من فلسطينيين المقيمين في العراق، وأما ضباطه فقد كانوا بأغلبيتهم من فلسطيني قطاع غزة الذين يعملون بدول الخليج العربي، ويرجع سبب مثل هذا التخصيص لأفراد وعناصر ذلك الفوج من مناطق محددة هو بسبب نفوذ الأطراف الفاعلة في تأسيس الفوج في تلك المناطق³⁴.

غير أن حقيقة تكوين وإنشاء هذا الفوج تبتعد كل البعد عن ما تم إعلانه في أهداف تأسيسه، فقد أسس هذا الفوج كعمل مضاد لما قامت به الجمهورية العربية المتحدة وزعيمها عبد الناصر في تأسيس الاتحاد القومي العربي الفلسطيني في قطاع غزة وإقليميها مصر وسوريا، بعد أن كان الخلاف قد دب بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم من خلال دخولهما حلبة التنافس على صداره الزعامة العربية، وكذلك ما شاع عن وقوع خلافات بين عبد الناصر والمفتى الحسيني عام 1958، ونقل الحسيني مقر إقامته من

³³Moshe Shemesh, The Palestinian Entity 1959-1974: Arab Politics and P.L.O., London, Frank Cass, 1988, p.p.12 – 13.

³⁴Ibid.

القاهرة إلى بيروت، مما سهل عملية التلاقي بين قاسم والحسيني بناءً على عداوة

³⁵ ناصر.

ثم جاءت الأيام لتثبت فشل التجربة وعدم مصداقيتها فلم يتجاوز دور ذلك الفوج

عن إجراء التدريبات المتكررة وإجراء العروض العسكرية أمام الوفود الرسمية المحلية

والعربية، مما خيب ظنون المنتسبين للفوج أو الساعين لذلك، لينتهي عمر ذلك الفوج بعد ما

يقارب الثلاث سنوات على تأسيسه وذلك بانقلاب عبد السلام عارف وزوال نظام قاسم³⁶،

ليكون ذلك الفوج ما هو بحقيقة إلا إحدى أنماط المحاولات والمشاريع العربية المبتورة

والجزئية التي تتم تحت الرعاية الرسمية المباشرة وتتسم بالسمات الخاصة لهذا النظام أو

ذاك ويرتهن وجودها بوجود واستمرارية النظام المؤسس لها من غير أن تفضي إلى نواة

كيان مستقل.

حزب البعث العربي الاشتراكي

نشأ حزب البعث العربي الاشتراكي وتأسس في أوائل الأربعينيات من القرن

العشرين الماضي، في سوريا تحديداً على يد مجموعة من الشباب العربي ذو التوجه

القومي الوحدوي، وكان ميشيل عفلق هو صاحب الدور الأساسي في تأسيس ذلك الحزب

وفي إخراج فكره وعقيدته إلى حيز الوجود، وقد كان شعار الحزب الأساسي هو الوحدة،

الحرية والاشتراكية، فقد دأب البعثيون منذ بداياتهم الأولى على الدعوة إلى النضال ضد

³⁵ Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State , 1997. pp. 67-70 .

³⁶ Yapp.M.E, The Near East since the First World War , London, Longman, 1991. pp. 237- 238.

التخلف الاجتماعي والتجزئة السياسية، وحتمية أو ضرورة الوحدة العربية التي تمثل

³⁷ الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

إلا أن حزب البعث وحتى قرابة نهاية عقد الخمسينات لم يكن يرى أو يدعو إلى أي دور متميز للشعب الفلسطيني بشكل مستقل وريادي، إلا أنه وبسبب فعالية العناصر الفلسطينية المنتسبة لحزب البعث وكونها الأكثر نشاطاً، وكذلك تأثر هذه العناصر الفلسطينية بالتيارات المتمامية لإبراز الكيان الفلسطيني بناءً على ارتباط مصالحهم واهتماماتهم بالقطاع الفلسطيني بشكل أساسي، قاد إلى نجاح عملية دفع قيادة حزب البعث إلى إعطاء الأهمية الالزمة لتصور وفكر نشوء الكيان الفلسطيني، مما عمل على تطوير رؤية الحزب للدور الخاص بالفلسطينيين ضمن النضال والعمل لأجل القضية الفلسطينية، حيث سرعان ما تبلور ذلك على نحو تنظيمي عندما راح الحزب يدعو لإنشاء جبهة تحرير فلسطينية وعندما فرز عدد كبير من كوادره وعناصره الفلسطينية ضمن وحدات تنظيمية خاصة بهم وفي إطار منظمة الحزب العامة³⁸ أي أنه بدأ بشكل فعلي بتشكيل نواة لتنظيمات فلسطينية خاصة داخل الحزب، غير أن تلك التطورات لم تكن تحدث بالسهولة التي يمكن استلهامها بمجرد عملية تحليل ووصف تلك التطورات، فقد كانت الصعوبة بمكان إزاء المفاهيم والأفكار القومية للحزب والتي ترفض بشكل شبه قاطع أي تصور لكيان انفصالي بمقابل الكيان العربي الموحد.

³⁷ مطاع الصندي، حزب البعث : مأساة المولد مأساة النهاية ، (بيروت: منشورات دار الأدب، ط.1، 1964) ص ص 50 - 52. كذلك انظر :

ناجي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، (بيروت: دار الطليعة، 1964) ص 143.

³⁸ اسعد عبد الرحمن، 1987، ص 84.

وبناءً عليه بدأ حزب البعث بمطلع السبعينيات من إظهار ذلك التوجه الجديد والتطور من خلال بياناته السياسية ومذكراته الرسمية، فصدر في آب 1960 عقب انعقاد المؤتمر القومي الرابع لحزب البعث البيان الذي اشتمل على توصية دعت إلى "تأليف جبهة شعبية تضم كافة التنظيمات الفلسطينية في الأقطار العربية، مستقلة عن الحكومات"، كما قام الحزب في العام 1961 بإرسال مذكرة إلى اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي عقد في بغداد في كانون الثاني عام 1961، مطالباً فيها العمل لإطلاق حرية الشعب الفلسطيني بتنظيم نفسه في جبهة تحرير فلسطينية، وعدم إغحام القضية الفلسطينية في النزاعات العربية، ثم عاد حزب البعث في العام 1963 عقب انتهاء أعمال المؤتمر القومي السادس إلى استصدار توصية أخرى تحت على تبني التوجه الداعي إلى جعل أبناء الشعب الفلسطيني طليعة جيش تحرير فلسطين وكذلك إقرار تنفيذ فكرة جبهة تحرير فلسطين التي كان قد دعا إليها فيما سبق³⁹.

إذا كانت كل التوجهات تلك تؤكد عملية التحول في فكر حزب البعث حول مسألة الكيان الفلسطيني المستقل والقبول به بالرغم من الطروحات القومية المناهضة لذلك، وبهذا يكون حزب البعث قد ساهم بشكل فاعل بتطوير الوعي والجهد السياسي والعملي للقضية الفلسطينية وأعرب عن استعداده لمدد العون في الجهد المبذول لبناء ذلك الكيان الفلسطيني المرتقب، بناءً على إصراره على رفض الصلح أو التفاوض مع إسرائيل -

³⁹ نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر مؤتمراته القومية 1947 – 1964 ، (بيروت: دار الطليعة، 1972) ص 101 و ص 167.

باعتباره خيانة⁴⁰، غير أن حزب البعث فيحقيقة الأمر لم يشر بأي إشارة واضحة وصريحة من خلال أدبياته إلى النهج أو النمط الذي سيقوم عليه حل القضية الفلسطينية، أو الاستراتيجية الخاصة للعمل على تحرير فلسطين سوى تلك التي تضمنتها شعاراته القومية من أن الوحدة هي طريق تحرير فلسطين.

حركة القوميين العرب

لقد كان لنكبة فلسطين عام 1948 التي جاءت نتيجة للضعف والتجزئة، ردود فعل سريعة كان منها عملية البحث عن القوة والوحدة، فمن خلال القوة والوحدة فقط يتم تحرير فلسطين، ولكن أية قوة؟؟ وأية وحدة؟؟⁴¹

وبذلك كان نشوء حركة القوميين العرب كأحد ردود الأفعال تلك، حيث اعتمد عناصر هذه الحركة على أن القوة والوحدة هما طريق العودة والثأر، فالقوة حسب مفهومهم كانت تعني القوة السياسية والعسكرية الكافية لخوض معركة التحرير والثأر، بينما الوحدة فهي ليست أكثر من كيان سياسي واحد، إذن فالاترابط بين القوة والوحدة كان نابعاً من أن القوة وتحقيقها يعتمد على وجود وحدة عربية ضمن إطار سياسي واحد⁴².

غير أنه بالرغم من أن شعارات الحركة التي انطلق منها برنامج عملها، كانت ترخر بالحس القومي العربي والتوجه الوحدوي، إلا أن القضية القومية المركزية للحركة كانت هي القضية الفلسطينية التي تمثل المحور الأساسي لنشاط وعمل الحركة⁴³.

⁴⁰ نضال البعث في سبيل الوحدة الحرية الاشتراكية "وثائق حزب البعث العربي الاشتراكي "الجزء الثالث ، (بيروت: منشورات دار الطليعة، ط. 1 ، 185-180) ص 1964

⁴¹ ناصي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، مصدر سبق ذكره، ص 143.

⁴² المصدر السابق، نفس الصفحة

⁴³ ماهر الشريف، 1995، ص 69.

قامت حركة القوميين العرب في الأساس عقب تأسيس الحلقة السرية الأولى عام 1951 حيث أعلن عن نشوء منظمة رسمية في العام 1952، حملت أسم "هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل" لتولي جل اهتماماتها لمعالجة القضية الفلسطينية، ومن ثم ل تقوم بإصدار مجلة دورية أطلقت عليها أسم "الثار"⁴⁴.

كانت الجامعة الأمريكية في بيروت هي المرتع الحقيقي الذي تم فيه تنسيق وتوطيد العلاقات فيما بين العناصر الطلابية الفلسطينية، حيث عمل جورج حبش طالب كلية الطب في حينها، والذي أصبح فيما بعد أحد أبرز قادة الحركة ومؤسسها، على جمع شمل أولئك الطلاب الناشطين، إذ كان كل تجمع منهم قد أطلق على نفسه أسم معين مثل "التنظيم العربي الفلسطيني" و "المنظمة العسكرية لتحرير فلسطين"، ليتم توحيدهم وتنظيمهم في إطار سياسي واحد عرف منذ وقتها بحركة القوميين العرب⁴⁵.

وبناءً عليه فقد كانت النواة الأولى التي شكلت الحركة تتمثل بعدة أشخاص كان على رأسهم جورج حبش، وديع حداد وهاني الهندي وكذلك أحمد الخطيب، صالح شبل وحامد الجبوري، وحين عقد المؤتمر التأسيسي الأول في عمان في 1956، كان الخلاف الجوهرى حول إقامة حزب أم حركة، فكان قرار بالعودة إلى رأي القاعدة التي كان قد تم استقطابها منذ بدايات العمل السياسي مطلع الخمسينات، وانتهى الخلاف بجسم الرأي لصالح تأسيس حركة وليس حزب⁴⁶.

⁴⁴ محمود سويد، 1998، ص.13.

⁴⁵ Yezid Sayigh, Reconstructing the Paradox: The Arab Nationalist Movement, Armed Struggle, and Palestine, 1951-1966, Middle East Journal, Volume 45, No.4, Autumn 1991. p.609

⁴⁶ محمود سويد، 1998، ص.15.

وبناءً حركة القوميين العرب وتطورها تنظيمياً وسياسياً، طرحت هذه الحركة على نفسها السؤال الجوهرى الذى يميط اللثام عن الكثير من الغموض والضبابية فى العمل والتوجه، وهو ما هىء الدور الخاص على صعيد القضية الفلسطينية في ظل الالتزام بالعمل القومى الشامل؟ خاصة أن العنصر الفلسطينى لكونه هذه الحركة كان هو العنصر الطاغي والمسيطر، والذى مثل كذلك المحور الرئيسي للاستقطاب إلى صفوف الحركة، وبالتالي فقد شكل الفلسطينيين الجزء الأكبر من جسم الحركة، مما قاد إلى صبغ اهتمامات الحركة بالمسائل والهموم الفلسطينية، وبالتالي فقد تميزت الحركة عن نظيراتها من التنظيمات القومية بسماتها الفلسطينية سواءً على صعيد التأسيس أو برنامج العمل أو الغايات والأهداف الأساسية⁴⁷.

ومن خلال مسيرة الحركة ورحلتها في دروب العمل السياسي والنضالي، مرت بعدة مراحل مختلفة⁴⁸، تطور خلالها فكرها وعقيدتها وتوجهاتها، وكانت تلك المراحل كما يلى:

المرحلة الأولى: البدايات والنشوء.

وفي هذه المرحلة تبنت حركة القوميين العرب شعاراً أساسياً هو الوحدة، التحرر والثأر⁴⁹، غير أن الحركة خرجت من مرحلتها هذه دون أن تكون قد وضعت لنفسها منهج أو دستور خاص بها، وعلى الرغم من ذلك فقد حددت مضامين المفاهيم التي تبنته،

⁴⁷ عيسى الشعبي، 1979، ص ص 85-87.

⁴⁸ محمد جمال باروت، 1997، ص 87.

⁴⁹ Yezid Sayigh, Reconstructing the Paradox: The Arab Nationalist Movement, Armed Struggle, and Palestine, 1951-1966, 1991.p.609

فالوحدة بالنسبة لها هي الإطار السياسي الشامل الذي يتم تحقيقه بأي طريقة دون نقيد، أما التحرر فكان يعني التخلص من الاستعمار بالقضاء عليه، وبهذا حتمية معركة الثأر المعركة الخامسة.

لقد اصطدمت حركة القوميين العرب منذ نشأتها الأولى بحزب البعث العربي الاشتراكي، فقد تشابه كلا الطرفين بالعقيدة الفكرية والأهداف الأساسية، فقد رأى البعثيون أن لا حاجة لنشوء مثل هذه الحركة، خاصة وأن حركة القوميين العرب قد استبدلت الاشتراكية بالثأر، فكان النقاش حول أهمية الاشتراكية وضرورة النضال من أجلها هو محور الخلاف الأساسي، فقد كان الأعضاء المؤسسين للحركة في مجملهم من أبناء العائلات الإقطاعية الموسرة⁵⁰، فلم يفهموا علاقة الاشتراكية بالقوة، ومدى ضرورة العمل من أجلها بظل حاجة الأمة للوحدة، أي أن الحركة بحذره من الاشتراكية وحرصها على التقدم مثلت الرأسمالية الناشئة، فاتهمهم البعثيون بإغفال القضية الاجتماعية⁵¹.

المرحلة الثانية: التقارب مع الفكر الناصري.

تميزت هذه المرحلة من عمر الحركة باشتداد النزوع إلى تأييد الأفكار والطروحات الناصرية بكل ما تضمنته من نهج ثوري وقومي، حيث رأت الحركة في شخص عبد الناصر القائد القومي قادر على القيادة والعمل من أجل الوحدة، مما دفع بالحركة للانخراط في البوتفقة الناصرية؟

⁵⁰ محمد جمال باروت، 1997 ، ص.87

⁵¹ ناجي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، 1964، ص.143.

ومن خلال القليل من التطور والتحول -غير الملحوظ فعلياً- أبقت الحركة على شعارها ثابتاً بناءً على أن الاشتراكية كقضية ومعركة اجتماعية تأتي في المرحلة اللاحقة للمعركة السياسية التي يتم من خلالها بناء القوة والوحدة، إذ رأت الحركة أن العقيدة التي تشكل أساس الثورة تتضمن أهداف قريبة وأخرى بعيدة، فالقريبة هي إقامة الوحدة بالقضاء على التجزئة والقضاء على الاستعمار للتحرر والقضاء على إسرائيل للتأثير واسترداد الحقوق، لتأتي بعدها الأهداف البعيدة بتحقيق العدالة الاجتماعية بشتى أشكالها داخل ذلك المجتمع القومي العربي الموحد⁵².

وعليه فبناء المجتمع الاشتراكي يتطلب خوض المعركة السياسية والانتصار فيها، وبالتالي كان تبني مفهوم الاشتراكية كمرحلة متقدمة هو التطور الأكثر وضوحاً في فكر الحركة، يضاف إليه التقارب باتجاه الفكر الناصري، في حين الذي مثل فيه تأييد الحركة للبعثيين الاندفاع العفوبي بناءً على التوجه القومي، مع الإبقاء على حالة التباعد، حيث أنه بالرغم من كون حركة القوميين العرب والبعثيين والشيوعيين قد مثّلوا حلفاً ثورياً في وجه الرجعية المحافظة على مستوى النظام الإقليمي العربي، إلا أن حركة القوميين العرب احتفظت بعدها للشيوعيين بناءً على موقف الاتحاد السوفيتي من قرار تقسيم فلسطين الصادر في العام 1947⁵³.

⁵² المصدر السابق، ص 146.
⁵³ Amnon Cohen, Political Parties in the West Bank Under the Jordanian Regime 1949-1967, USA, 1982, Cornell Uni Press.pp. 96-99.

المرحلة الثالثة: التطور المفاهيمي والتحول نحو الاشتراكية.

تعتبر هذه المرحلة هي الأهم والأكثر تطوراً في تاريخ حركة القوميين العرب، إذ أن منذ مطلع عام 1958 أسقطت الحركة مفهوم الثأر من شعارها لتبديله بمفهوم الاشتراكية من خلال مرحلة تمهدية أعتمد فيها مفهوم التقدم، أي أن شعارها أصبح الوحدة، التحرر، التقدم واسترجاع فلسطين، ثم انتهى إلى الوحدة، الحرية، الاشتراكية واسترجاع فلسطين⁵⁴.

وقد كان هذا التطور مواكباً للمشروع الوحدوي الأول في تاريخ الأمة العربية المعاصرة، حين قامت وحدة ما بين مصر وسوريا أسس من خلالها الجمهورية العربية المتحدة، حيث اعتبرت الحركة هذا العمل هو الخطوة الأولى على طريق الوحدة العربية الشاملة، والأجراء العملي الأول لتحرير فلسطين⁵⁵، وقد نتج هذا التحول الفكري للحركة كصدى لتطور الأفكار القومية وخاصة الصبغة الناصرية على ذلك الفكر القومي والتجربة العملية لمشروع الوحدة العربية، لذلك اعتبرت حركة القوميين العرب نفسها قاعدة لدولة الوحدة تلك وكرست نفسها للدفاع عنها⁵⁶ من خلال تبني القاعدة القائلة بأن الوحدة هي الضمان الوحيد لمجابهة إسرائيل وتحرير فلسطين، وإن آلية العمل لتحقيق ذلك هو إعداد الفلسطينيين وتوليهم كامل المسؤولية لتحرير وطنهم وذلك بالاعتماد على دولة الوحدة، وكتتفيد فعلي لهذا التوجه أسست الحركة جهاز خاص بفلسطين عرف باسم "إقليم فلسطين"

⁵⁴Ibid, PP. 99 – 100 . كذلك انظر : ناجي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، 1964، ص148.

⁵⁵ ماهر الشريف، 1995، ص71.

⁵⁶ محمد جمال باروت، 1997، ص117.

وذلك في العام 1960⁵⁷، ضم بين ثيابه تخصيص للمناطق الفلسطينية أطلق عليها أسم

"الساحات" فكان هناك ساحة العراق، مصر، ... الخ.

ولعل مثل هذا الإجراء كان قد توأكب وما سبق أن اتخذه عبد الناصر من خطوات

على طريق تجسيد بعض الأجهزة الفلسطينية الخاصة كالمجلس النيابي في غزة

والاتحادات القومية الفلسطينية، من خلال إنشواء الحركة تحت المظلة الناصرية وتبنيها

لطروحاته ومبادئه، وكذلك على الجانب الآخر فقد شكلت هذه الجهة الفلسطينية العمل

الرديف في مقابل خطوات عبد الكريم قاسم، حيث تقاسمت حركة القوميين العرب مع عبد

الناصر عدائية قاسم، ورفضها لفكرة تفرده بوضع حلول القضية الفلسطينية والشروع في

تنفيذها.

وبهذا تكون الحركة قد بلورت نفسها بتعابيرات وسمات سياسية فلسطينية دون أن

يعني ذلك تخليها عن توجهاتها وعقيدتها القومية أو السقوط في معرك المفاهيم الانفصالية

أو الإقليمية.

وقد كان التحول الآخر في فكر الحركة ونهجها في هذه المرحلة ذاتها، ما تبنته

الحركة في أعقاب انهيار دولة الوحدة ووقوع كارثة الانفصال كما عبرت عنها الحركة،

فقد تخلت الحركة عن مبدأ أولوية وأهمية المعركة السياسية على المعركة الاجتماعية،

وذهبت إلى اعتبارهما معركة واحدة، من خلال أن النهوض بالمجتمع وتوعيته لها الدور

الأساس في تعميق الأفكار القومية ومبادئ الوحدة، وبهذا تكون العدالة الاجتماعية التي

تفرزها الاشتراكية ذات دور أساسى في المعركة السياسي لمواجهة التحديات، حيث ألغت

⁵⁷ Amnon Cohen, 1982. pp. 136 -143.

الحركة بظلال المسؤولية في عملية الانفصال التي قبضت على دولة الوحدة، على فئة البرجوازيين الكبار الذين تعارضت مصالحهم الخاصة مع توجه دولة الوحدة نحو ترسیخ الاشتراكية⁵⁸.

حركة التحرير الفلسطيني "فتح"

كان خروج هذه الحركة إلى حيز الوجود، ودخول مضمار النضال في سبيل القضية الفلسطينية تعبر أكثر وضوحاً عن نشوء حركة وطنية فلسطينية مستقلة، حيث أنها كانت أول حركة فلسطينية بحتة بكل معنى الكلمة أكثر من غيرها من الحركات التي سبقتها، في أعقاب نكبة فلسطين عام 1948.

لقد كانت دولة الكويت الدولة الصغيرة على الخليج العربي، محطة اللقاء الأول للعناصر الأولى المؤسسة لهذه الحركة في العام 1957، أولئك العناصر الذين أتوا من مختلف مناطق التجمعات الفلسطينية والذين لم يتجاوز عددهم الخمسة أفراد، يحمل كل منهم بداخله خبرة كفاحية مغايرة⁵⁹، غير أن أولئك المؤسسين لم يكونوا من أنصار الوحدة العربية، في حين الذي لم يروا أنفسهم دعاة إلى الانفصالية أو التجزئة⁶⁰.

لقد كان رفض الحركة للانتماءات الأيديولوجية نابعاً من تقام الصراعات الأيديولوجية على مستوى المنظومة العربية، فكان بروز هذا التيار الوطني الذي يرى تحرير فلسطين من مهمة الفلسطينيين بالتعاون مع الأقطار العربية، دون الخوض في غمار تلك المنافسات والمشاحنات العربية.

⁵⁸ ناجي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، 1964، ص 148.

⁵⁹ أريك رولو، 1980، ص 54.

⁶⁰ عيسى الشعبي، 1979، ص 58.

بدأت طروحات فتح الفكرية تتواتي شيئاً فشيئاً من خلال طرح تلك الآراء والتوجهات الخاصة في الأوساط الفلسطينية والعربية، مخاطبة الجماهير وذلك عن طريق مجلة دورية شهرية خاصة قامت كواذر فتح بإعدادها وإصدارها لهذا الغرض، حملت أسم "نداء الحياة - فلسطيننا" لتكون الواجهة الرئيسية المعبرة عن أفكارهم⁶¹.

فقد رأت حركة فتح أن على أبناء فلسطين أعداد العدة والعمل الجاد لوضع حل لقضيتهم ومشكلتهم بأنفسهم فقط⁶²، وقد طرحت فلسطيننا من خلال واضعيها في بداية انطلاقهم، وجهة نظر فكرية للعمل على تحرير فلسطين والقضاء على إسرائيل وذلك من خلال خوض أربع معارك مصيرية⁶³، تتمثل تلك المعارك بما يلي:

*المعركة الاقتصادية: وذلك بتبني وتوطيد الحصار والمقاطعة الاقتصادية لإسرائيل، وبالتالي حرمانها من أقوى أسباب وجودها وجعلها ضعيفة وهزيلة.

*المعركة الدعائية: وتنتمي هذه المعركة من خلال إقامة منظمة فلسطينية دعائية تتولى مهمة القيام بحملة دعائية ضخمة، لإيصال الصورة الحقيقية للمشكلة الفلسطينية والعمل على خدمة القضية الفلسطينية، وذلك بإصدار صحيفة عالمية.

*المعركة الدبلوماسية: وتنتمي العمل الدؤوب لإقناع دول العالم بسحب اعترافهم بإسرائيل، والاستعانة على ذلك بممارسة الضغط المطلوب باستخدام عوامل القوة والتأثير العربية على مصالح الدول الأجنبية كالنفط وغيره من الأمور.

⁶¹ أريكت رولو، 1980، ص.69.

⁶² مجلة نداء الحياة - فلسطيننا ، العدد 2 ، نوفمبر 1959 ، ص26

⁶³ المصدر السابق، ص27 وص30.

*المعركة العسكرية: ويتم من خلالها حشد الجيوش العربية وتوحيدها ومن ثم تدريبيها وتسليحها بشكل قوي، يكون العنصر الفلسطيني هو العنصر الأساسي المكون لذلك الجيش، ومن ثم خوض المعركة الحاسمة والقضاء على إسرائيل وفرض الأمر الواقع على العالم كله.

وفي حقيقة الأمر كان هذا الطرح الذي واكب البدايات الأولى لانطلاق الحركة وتكوينها الفكري لا يتمثل بكونه أكثر من ضرب من الخيال، في ظل الواقع العربي وإمكانياته وطموحاته.

غير أن الحركة ومن خلال أطروحتها اللاحقة بدأت تشير إلى حقيقة ذلك الواقع العربي وتعيه جيداً، فبدأت تشير إلى الكيان العربي بأنه كيان رأسمالي قائم على المصلحة الصرفية⁶⁴، وتطالب أبناء الشعب الفلسطيني بوعي حقيقة قضيته، والسعى للعب الدور الأساسي بتوحيد الصفوف والالتحام الوطني.

لقد بدأت حركة فتح منذ مطلع السبعينات تشير إلى ضرورات الكيان الفلسطيني المستقل، وتطالب بالتحرك الفعلي لتحقيقه، فقد اعتبرت الحرب أن الكيان هو مطلب أساسي على اعتبار أنه حق شرعي كفلته كل مبادئ الحرية، وبناءً على هذا دعت إلى تولي الفلسطينيين السيادة وإقامة صرح الحكم الوطني في تلك الأجزاء التي لم تحتل من فلسطين، وجعلت من هذا الأمر هو نقطة الاختبار لإرادة الحكم العرب وتوجهاتهم، فأخذت الحركة تذكر في أدبياتها ما يدلل على ذلك فمثلاً "لأننا الحكم إخلاصهم

⁶⁴ فلسطين، العدد 4 ، يناير 1960 ، ص.6.

لقضيتنا فيرفعوا أيديهم عنا ويوافقونا على بعث الكيان⁶⁵ وكذلك "إن الكيان مطلب عادل شرعي فمن حقنا أن نحكم أنفسنا، ونحن لم نعطي الحق لأحد في أن يحكمنا، ولا يجوز لجزء من شعب فلسطين أن يقرر مصير جزء من أرض فلسطين".

وفي خضم النقاشات حول طرق تحرير فلسطين واستردادها، طرحت حركة فتح الخيارات المتاحة للظفر بذلك المطلب، فأشارت إلى أن تلك الخيارات هي أربع: إما عن طريق الأمم المتحدة، أو عن طريق حرب عالمية، أو حرب عربية صاعقة، أو حركة ثورية فدائية.

وبدون الخوض في الخيارين الأول والثاني، فنجد الخيار الثالث والذي رفضته الحركة⁶⁶ بحد ذاتها، غير منطقي، حيث أن مثل هذه الحرب تتطلب وحدة الجيوش العربية وتضامنها وكذلك جاهزيتها واستعدادها، يضاف إلى ذلك العنصر الأهم ألا وهو أن تأخر أو فشل ذلك الهجوم الصاعق سوف يتتيح المجال أمام التدخل الخارجي كالقوى العظمى أو الأمم المتحدة، وكذلك فإن الفشل - حتى ولو كان جزئياً - سيؤدي إلى كسر شوكة العرب وضعف موقفهم أمام إسرائيل⁶⁷.

وفي النظر للخيار الذي تبنته الحركة وهو الدعوة لإنشاء حركة ثورية فدائية وذلك من خلال تأسيس جماعات منفصلة داخل كل دولة عربية تكون غير متراقبة وغير منتبطة لجهة عربية معينة، تقوم بضربات موجعة لإسرائيل، ثم تتحد تلقائياً بتطورها

⁶⁵ فلسطينا ، العدد 11 ، نوفمبر 1960 ، ص 3

⁶⁶ فلسطينا ، العدد 13 ، يناير 1961 ، ص 3.

⁶⁷ فلسطينا ، العدد 12 ، ديسمبر 1960 ، ص 3-4

⁶⁸ ناجي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، 1964، ص 180.

الزمني وتقوم بإعلان حكومة فلسطينية مستقلة حقيقة لتجسيد الكيان الفلسطيني على أرض الواقع فعلاً وليس اسماً⁶⁹، فالحركة لا تؤمن بقيام حكومة قبل وجود واقع لها، لهذا يجب أن لا يعلن قيام حكومة فلسطينية إلا بعد نجاح الحركة الفدائية في إثبات وجودها⁷⁰.

غير أن هذا الطرح لحركة فتح كاستراتيجية لتحرير فلسطين أو تأسيس كيان فلسطيني، كان نابعاً من العفوية والانفعال وحتى الارتجال، وبالتالي لم يكن ليمثل الطريق المأمون لتحقيق الأهداف، بالإضافة إلى تجاهل عدة ظروف موضوعية منها ما هو متعلق بارتباط بعض الأنظمة العربية بالدول الاستعمارية الغربية، والصراع الدائر بين الجماهير العربية وتلك الأنظمة الرجعية، مما يجعل من المستحيل قيام تلك المجموعات الفدائية في أرجاء الوطن العربي، كما أن الحركة قد أغفلت واقع التجزئة التي تعيشها المنظومة العربية، فلماذا ستتفق تلك الأنظمة على منهجية حل القضية الفلسطينية⁷¹.

كما أن الحركة في طروحاتها تلك لم تراهن على جماهير الشعوب العربية، ولم تعي مسألة جاهزية إسرائيل وقوتها العسكرية حيث طالبت بوجود جبهة عربية موحدة ومدربة ومجهزة عسكرياً، وهو ما يحتاج إلى الكثير من الوقت والمال والجهد -إذا وجدت الإرادة لتحقيقه⁷².

وعلى الجانب الآخر وبالذات على صعيد ما يتعلق بإسرائيل، فقد حددت الحركة موقفها في مطلع السبعينيات من هذا الأمر بجلاء، فأصرت أن لا علاقة مع إسرائيل ولا

⁶⁹ فلسطيننا ، العدد 12 ، ديسمبر 1960 ، ص 3-4 ، كذلك : فلسطيننا ، العدد 15 ، مارس 1961 ، ص 3.

⁷⁰ فلسطيننا ، العدد 15 ، مارس 1961 ، ص 26.

⁷¹ ناجي علوش، المسيرة إلى فلسطين ، 1980، ص 181.

⁷² المصدر السابق ، ص 182.

اعتراف ولا صلح ولا تقسيم ولا عودة تحت ظل حكم يهودي استعماري، وكذلك رفضت جميع أشكال الحلول الجزئية، كالإسكان والتوطين أو التعويض والتهجير، ويستدل على ذلك من خلال طروحتهم في مجلة فلسطيننا، فمثلاً "طالب بالمعركة ... معركة لا تؤمن بالخطب ولا بأنصاف الحلول ولا بمشاريع التصفية ولا تقبل المساومة... معركة الشعب الفلسطيني".⁷³

وباتضاح ملامح الحركة وأفكارها أكثر فأكثر، راحت حركة فتح تؤكد على أن تحرير فلسطين لن يتم إلا بقوة السلاح من خلال الجماهير الفلسطينية بإحياء الروح الثورية فيها، وأن الكيان الفلسطيني المنشود يجب أن يكون كياناً حرّاً غير تابع ولا خاضع يحمل الإرادة الحقيقة للشعب الفلسطيني ويعبر عنها، وأن إيجاد مثل هذا الكيان لا يعني بأي شكل النزعة الإقليمية... بل هو لتنظيم وتعبئة وحشد قوى الشعب الفلسطيني، حيث أن ذلك الكيان سيعتبر نفسه خط الدفاع الأول عن العرب والعروبة ضد الخطر "الصهيوني" ومخططاته التوسعية.⁷⁴

ومن ذلك المنطلق رفضت حركة فتح مبدأ الانتماء الحزبي أو التعصب، كما رفضت الانخراط في النزاعات العربية أو التدخل في الشؤون العربية الداخلية، وطالبت أبناء الشعب الفلسطيني بعدم الانحياز لأي طرف عربي وتبني موقف الحياد، لعدم وجود مصلحة لهم بانحيازهم سوى الإضرار بقضيتهم وموقفهم.⁷⁵

⁷³ فلسطيننا ، العدد 13 ، يناير 1961 ، ص.4.

⁷⁴ المصدر السابق ، ص.2.

⁷⁵ نفس المصدر ، ص.4 ، كذلك : فلسطيننا ، العدد 15 ، مارس 1961 ، ص.19.

إلا أن أصحاب التوجه القومي بالذات من الفلسطينيين اعتبروا أن رفع شعار الحياد ما هو إلا دعوة للتعايش مع الرجعية التي تتآمر على القضية الفلسطينية، وبالتالي فإن الوقوف في وجه تلك الرجعية والقضاء عليها هو من الخطوات الأولى لتحرير فلسطين⁷⁶.

وعلى صعيد الإشارة إلى دور الأنظمة العربية، فقد نعتت الحركة تلك الأنظمة بعدم الجدية في معالجة القضية الفلسطينية والميل لتسخيرها في خدمة أهدافها ومصالحها خصوصاً في مواجهة بعضهم البعض⁷⁷. إن استراتيجية الكفاح المسلح والحركة الثورية الفدائية التي أطلقتها حركة فتح، أصبحت فيما بعد العقيدة الأساسية المعتمدة من قبل معظمحركات الوطنية الفلسطينية التي تبلورت ونشأت بعد ذلك، وهي العامل المحدد لمعيار الجدية والإخلاص للمشاركة في نضال إنشاء الكيان الفلسطيني وتحرير فلسطين.

كما يعود ترسیخ فكرة الثورة المسلحة في عقيدة حركة فتح نتيجة للتأثير الواضح والملموس بتجربة الثورة الجزائرية واعتمادها كنموذج لأسلوب التحرر والنضال في وجه الاستعمار والاحتلال⁷⁸.

⁷⁶ نضال البعث في سبيل الوحدة الحرية الاشتراكية "وثائق حزب البعث العربي الاشتراكي "الجزء الثالث ، 1964 ، ص182.

⁷⁷ فلسطيننا ، العدد 15 ، مارس 1961 ، ص26

⁷⁸ اريك رولو، 1980 ، ص67.

المبحث الثاني

دولة الوحدة والحال داخل النظام الإقليمي العربي

لقد كانت القضية الفلسطينية وعلى الأقل منذ نكبة عام 1948 تمثل أحد الركائز الأساسية للعقيدة القومية العربية، وبالتالي فقد حملت التوجّه نحو إقامة المشروع الوحدوي العربي ودولة الوحدة العربية أفقاً جديداً لتطورات و مجريات العمل نحو إقامة كيان فلسطيني، غير أن التساؤل الذي يطرح نفسه، إذا ما كانت دولة الوحدة تلك لتطفيء نار الحرب العربية الباردة المشتعلة بين أقطاب النظام الإقليمي العربي أو ستزيدها إشتعالاً؟ وأيضاً كيف تعاملت تلك الدولة الوحدوية مع المطالبة المتتصاعدة بالكيان الفلسطيني وإذا ما استطاعت إقامته أو التحفيز على ذلك؟.

كان الرئيس جمال عبد الناصر يمتلك رغبة فعلية لتحقيق وحدة عربية شاملة تجمع بين الأقطار العربية كلها⁷⁹، كما أن قناعاته كانت قد تعززت بعدم إمكانية تحقيق الوحدة إلا بعد توفير الشروط الالزمة لها من مقومات سياسية، عسكرية، اقتصادية، وثقافية، غير أنه لم يكن ليبتُطِيع الصمود طويلاً أمام المطالبات المتزايدة بالمشروع في بناء تلك الوحدة العربية المرجوة، خاصة من قبل الجماهير السورية التي ما فتئت تلح بطلبها ذلك، وبالتالي كان حذر الرئيس عبد الناصر وتحفظه على هذا المطلب نابعاً من إقراره بالحاجة الماسة إلى المزيد من الوقت وكذلك ضرورة الشمولية العربية التي طالب

⁷⁹ عيسى الشعبي، 1979، ص 69

بها لتحقيق الوحدة لا أن تكون مقتصرة على مصر وسوريا بحد ذاتهما حتى لو كانت تلك هي الخطوة الأولى⁸⁰.

ومن جانب آخر فقد كان الزعيم العربي عبد الناصر غير متقبلاً لفكرة تسامي سيطرة الشيوعيون في سوريا أو توليهم الحكم هناك، مما قد يزعزع مكانته في صدارة الزعامة للوطن العربي⁸¹، ومما أتاح الفرصة لمبدأ تلاقي المصالح بينه وبين القوميين السوريين وعلى رأسهم البعثيين الذين رغبوا في إيصال حزبهم إلى رأس الهرم السياسي وتولي دفة الحكم، وبالتالي فإن التحالف مع هكذا زعيم يمثل بطاقة الوصول إلى الحكم (بين ليلة وضحاها) بدلاً من انتظار السنوات الطوال من النضال لتحقيق هذا الحلم، وهكذا كان خوف البعثيين وعدم ثقتهم في الشيوعيين ورؤيتهم لهم على أنهם أعداء ل القوميّة العربية كان محطة تلاقي مع حذر عبد الناصر وقلقه من تولي الشيوعيين السوريين للحكم، وبذلك كان هذا الهدف المشترك قد لعب دوراً أساسياً في إنشاء الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا كنواة للوحدة العربية الشاملة⁸².

أي أن حقيقة الأمر تؤكد أن الشعارات التي كان يرفعها منظري العقيدة القومية بأن الوحدة العربية هي الملجأ الوحيد لتطور وارتقاء الوضع العربي والوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين واستعادتها ليست هي الركيزة الأولى والأسمى نحو هذا التوجه.

⁸⁰ فيصل الحوراني، عبد الناصر و القضية الفلسطينية، (عكا: دار الأسوار للنشر ، ط.2، 1987) ص 24.

⁸¹ هنري لورنس، اللعبة الكبرى: المشرق العربي المعاصر و الصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، (قيرص: دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ، ط.1، 1992) ص 179.

⁸² Malcom Kerr, The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and his rivals 1958-1970, Oxford: Oxford Uni Press, 1971,(3rd ed) p.2

وبما أنه ليس من المهم تشخيص الحالة بقدر ما هو مهم امتلاك رؤية واضحة للعلاج، فقد كان تحقيق وحدة عربية يفتقد إلى تصور عملي واضح ومحدد لآلية تحقيق هذا الهدف وهو كل ما كان عليه الحال أبان ثورة العقيدة القومية، من قصور عن إيجاد الدواء الشافي الذي يمثل العلاج والحل الموضوعي لواقع التجزئة.⁸³

وبالنظر إلى واقع الأنظمة العربية آنذاك – إن لم تكنأسوء حالاً الآن – فقد ظهرت تلك الأنظمة بالعمل على تحقيق وحدة عربية وذلك سعياً منها لإعطاء نفسها شرعية أكبر من خلال مجازاة الشلال الجماهيري الهادر المعبأ بأفكار الحركة الوحدوية والمشبع بالعقيدة القومية، وبذلك تعزيز سيطرتها ونفوذها، وبالتالي كان سعي الأنظمة وراء الوحدة من غير إيمان بتلك الوحدة، فالمنطق يقول أن المستفيد من حال معين لا يحاول تغييره بل يعمل على تثبيت دعائمه وأسسه ويحارب من أجل ديمومته، لا أن يثور عليه ويسعى إلى هدفه أو القضاء عليه، وبما أن واقع التجزئة الذي تعشه الأقطار العربية تعاني من أثاره الجماهير العربية وتنتفع من ورائه الطبقات الحاكمة وتستمد وجودها من خلله، فقد كان لزاماً التفريق بين الوحدة التي نادت بها الشعوب العربية المؤمنة بتلك الوحدة والمتضررة من واقع التجزئة وبين الوحدة التي نادت بها الأنظمة الحاكمة⁸⁴.

وفي أعقاب اتخاذ القرار لإجراء الاستفتاء الشعبي العام في الجمهوريتين العربيتين مصر وسوريا على إقامة الاتحاد المشترك وتأسيس الجمهورية العربية بينهما، وإذا بالأردن والعراق يعلنان قيام "الاتحاد الهاشمي" كدولة اتحادية فيدرالية تضم بين ثناياها

⁸³ إبراهيم ابراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.2، 1987) ص 125.

⁸⁴ المصدر السابق، ص 133-134.

الحكم الملكي الهاشمي المشترك في كلتا الدولتين⁸⁵، حيث أن وجود حكم ملكي للعائلة الهاشمية في كلاً من الأردن وال العراق كان قد دفع إلى تحالف طبيعي بين مصر والمملكة العربية السعودية بناءً على المصلحة المشتركة في كبح جماح النفوذ الهاشمي⁸⁶، في مساعيه للسيطرة على النظام الإقليمي العربي أو تنفيذ مشاريعه التوسعية مثل مشروع سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، غير أن الرئيس عبد الناصر سارع إلى الترحيب والثناء على قيام هذا اتحاد ودلل على ذلك بقوله "إن هذا الاتحاد الهاشمي خطوة مباركة للأمة العربية كلها باعتباره تقريراً ليوم الوحدة العربية الشاملة بين كل العرب"⁸⁷.

غير أن الذي أراده عبد الناصر من هذا التصريح هو فقط تأكيده على تأييده لمشاريع الوحدة العربية بشتى أشكالها لكونها هدفاً سامياً ومطلباً حقيقياً، كي لا يضع نفسه بمخالف في التناقض مع طروحاته القومية، إلا أنه كان يعي وبشكل جيد أن هذا الإتحاد ما هو إلا واجهة للوقوف في وجه تطلعاته وأهدافه.

وبإعلان نتيجة الاستفتاء في 22 شباط 1958 وقيام دولة الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً لها⁸⁸، وبالتالي قيام أول وحدة عربية دستورية، كانت موافق الرئيس عبد الناصر الوحدوية تصنع أعظم إنجازات الحركة القومية العربية على مدى عمرها التاريخي⁸⁹، غير أن عمر الاتحاد الهاشمي الأردني العراقي الذي واكب حدث تأسيس الجمهورية العربية المتحدة، لم يدم طويلاً، حيث كان سقوط النظام الملكي الهاشمي في

⁸⁵ Uriel Dann, King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism: Jordan 1955-1967, London, Oxford Uni Press, 1989. P.79.

⁸⁶ د. علي الدين هلال، 1985، ص 79

⁸⁷ محمد حسين هيكل، سنوات الغليان: حرب الثلاثين سنة 1967، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط.1، 1988) ص 296.

⁸⁸ المصدر السابق، ص 299.

⁸⁹ إبراهيم ابراش، 1987، ص 142.

العراق عقب ثورة تموز في عام 1958 ورحيل نوري السعيد رئيس الوزراء وعبد الإله الوصي على العرش، وتولى عبد الكريم قاسم الحكم وإعلان قيام الجمهورية العراقية قد أدى بطبيعة الحال إلى انفراط عقد الاتحاد الهاشمي وبالتالي انهياره^{٩٠}.

وفي حقيقة الأمر فقد كان لانهيار الاتحاد الهاشمي وزوال النظام الملكي العراقي التأثير البالغ على طبيعة التحالفات داخل النظام الإقليمي العربي وعلى تغير كفة الميزان، فقد أدى قيام دولة الوحدة المصرية السورية في تعزيز دور مصر وعبد الناصر بالذات على صعيد السعي نحو تشكيل القوة الأكبر على مستوى النظام، وقد كان الأمر الإضافي إلى هذا العامل خروج العراق من معسكر المحافظين الرجعيين لينضم إلى معسكر الثوريين، مما أثار حفيظة السعودية وملكها سعود من تنامي تكتل ذلك المعسكر ومن صعود نجم الرئيس عبد الناصر، الأمر الذي قاد إلى تحالف جديد بين المملكة السعودية والمملكة الأردنية في مواجهة المعسكر الثوري بقيادة عبد الناصر، حيث كان ذلك التحالف كانطواء للنظام الهاشمي الملكي الأردني تحت راية السعودية بناءً على ضعف إمكاناته وقوتها، للعمل على مواجهة العملاق القومي التأثر والصمود أمام فيضان الأفكار والمبادئ القومية التي تشكل خطراً حقيقياً على وجودهما بعد أن تمكن من هدم وإزالة ذلك النظام الملكي الهاشمي من العراق.

غير أن النظام الجمهوري العراقي الحديث الذي أفرزته ثورة تموز في عام الوحدة ما لبث أن اتضحت معالم رغبات رئيسه في الطموح نحو الزعامة والنفوذ على

^{٩٠}Malcolm Kerr, 1971, p.22

كذلك انظر: هنري لورنس، 1992، ص185.

مستوى النظام⁹¹، بعد أن بدأ بتبني دعائم حكمه من خلال قمعه لأنصاره الذين أوصلوه إلى الحكم بالذات شركائه البعضين وبالخصوص زعيمهم عبد السلام عارف صديقه المقرب وشريكه في الانقلاب الثوري، ثم ليلتف ليف بوجه عبد الناصر منافساً على زعامة النظام الإقليمي العربي ككل، وذلك من خلال تحالفه مع الشيوعيين العراقيين في وجه خصمه الداخلي عبد السلام عارف ثم في وجه خصمه الخارجي عبد الناصر، فقد حمل شيوعي العراق هاجس الخوف والعداء لعبد الناصر والقوميين العرب بناءً على محن رفاقهم في مصر وسوريا⁹².

وبناءً عليه فقد "كان الرئيس جمال عبد الناصر يقود المعركة القومية ويصنع أول وحدة بين قطرين عربين في التاريخ الحديث"⁹³، وكذلك فقد كانت مراحل تطور النظام الإقليمي العربي تمر في أهم وأخطر منعطفاتها في عام الوحدة عام 1958، حيث أن تلك الثورة القومية وما تولد عنها من طاقة أيديولوجية عبرت بالدليل القاطع عن توافر إرادة شعبية عربية عامة مؤمنة بالوحدة العربية من خلال ما شكلته من خطورة على كيان أنظمتها الحاكمة ووجودها وبالذات تلك الأنظمة الملكية أو الرافضة للتوجه القومي والتي نعتت بأنظمة الرجعية⁹⁴، وقد يكون لبنان مثلاً حياً على ذلك خلال عهد الرئيس كميل شمعون نظام غير ملكي لكن موالي للغرب ومعادي للتوجه القومي، مما قاد بهذا النظام في نفس هذا العام الوحدوي إلى السقوط أمام نعمة الجماهير الشعبية اللبنانية حتى وإن

⁹¹Moshe Shemesh,, 1988, pp.8-14

⁹² هنري لورنس، 1992، ص 186.

⁹³ عيسى الشعبي، 1979، ص 69.

⁹⁴ د.علي الدين هلال، 1985، ص 81 و ص 91.

كانوا ليسوا في مجملهم مؤمنين بالأفكار القومية أو من أولئك الذين ينادون بالوحدة العربية⁹⁵، ولكن كتأكيد على الأهمية التي يمثلها الرأي العام الشعبي ومن قدرته على التغيير.

وبهذا اعتبرت حركة القوميين العرب أن دولة الوحدة هي الخطوة الأولى نحو التوحيد الشامل والوحدة الشاملة، أي أنها النواة باعتبارها نقطة الانطلاق لمسح الحدود والنهوض بالمجتمع العربي لإثبات حقيقة أن "النضال من أجل الوحدة نضالاً من أجل التحرر" وبهذا أعادت إلى الأذهان مسألة تنظيم الشعب الفلسطيني وتبنت شعار "الوحدة هي طريق تحرير فلسطين".⁹⁶

وكتأكيد على الاستعداد للتضحية اللامحدودة في سبيل الوحدة العربية عمد حزب البعث السوري إلى الرضوخ إلى مطالب عبد الناصر برفض الحزبية والأحزاب، وبناءً عليه فقد قام هذا الحزب بعد إعلان قيام دولة الوحدة بحل نفسه كحزب سياسي، ووجهوا كل تقلهم وإمكاناتهم نحو مساندة المشروع الوحدوي، معتمدين على اعتبار أنفسهم جزءاً من الحركة القومية الوحدوية التحررية.⁹⁷

فمن خلال ما سبق نجد أن سنوات دولة الوحدة وما تبعها من سنوات شهدت تفاقم الصراعات الأيديولوجية داخل النظام الإقليمي العربي واشتداد النزاعات الداخلية والتحول

⁹⁵ هنري لورنس، 1992 ، ص ص 183-184.

⁹⁶ Maher al-Sharif، 1995، ص 70 و ص 81.

⁹⁷ إبراهيم أبراش، 1987، ص 125.

في التحالفات والسياسات أكان ذلك سواء بين المحافظين والثوريين أو بين القوميين والشيوخ عيين⁹⁸.

أن الطابع السلمي لدولة الوحدة والذي أشار إليه عبد الناصر في خطابة الذي ألقاه بمناسبة الذكرى الأولى لتأسيس الجمهورية العربية المتحدة، نفى أي توجه سياسي عدائي تجاه الدول المجاورة أو أقطار النظام العربي ككل، أو حتى رفض وجود مسعى لغرض السيطرة والهيمنة⁹⁹، إلا أن منافسيه من خارج دولة الوحدة من عناصر المعسكر المحافظ الرجعي تبنوا بشكل أساسى حتمية الخطر على وجودهم وكيانهم جراء تلك الثورة القومية التي أفرزها مشروع دولة الوحدة، فوجد عبد الناصر نفسه مرغماً على الخوض في غمار المشاحنات والمشادات مع تلك الأنظمة، وبالتالي إلى المنازعات على شتى المحاور العربية¹⁰⁰.

وباشتداد حدة النزاع والتلاسن العربي – العربي على صعيد النظام الإقليمي العربي بين الأقطاب المتنافرة والمتحاربة، طفت المصالح والأولويات الوطنية لأقطار النظام على المصلحة القومية الشاملة، فاتخذت السياسات العربية من خلال سلم اهتماماتها مكانة متدنية جداً لأهمية القضية الفلسطينية¹⁰¹، وفي "سنين الخصومات الشديدة بين الحكام العرب حاول كل منهم إثبات كونه متمسكاً أكثر من غيره بفكرة الاستقلال

⁹⁸ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية: 1948-1987 ، (د. د) ص 7.

⁹⁹ خطاب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، الجزء الأول، 1952 - 1959 ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، 1960.

¹⁰⁰ فيصل الحوراني، عبد الناصر و القضية الفلسطينية ، 1987 ، ص 24.

¹⁰¹ عيسى الشعبي، 1979 ، ص 77.

الفلسطيني، لكن لم يكن بينهم من كان يسمح بإقامة نشاط فلسطيني مستقل تحت حكمه¹⁰².

أي بحقيقة المضمون لم تكن القضية الفلسطينية هي الهدف الذي تعمل الأنظمة العربية لأجله، بل هي الأداة المسخرة لخدمة حيئات الحرب العربية الباردة والعمل لأجل توازن مقبول داخل النظام الإقليمي العربي.

وفي سياق تنافس الزعامات العربية وعلى وجه الخصوص بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم وكمجرد حلقة من حلقات الحرب والدعائية الإعلامية، ذهب قاسم إلى استغلال الخلاف بين عبد الناصر والجناح أمين الحسيني لتعزيز موقفه في مواجهة عبد الناصر، حيث عمد قاسم إلى تسخير القضية الفلسطينية لصالحة فبادر بإنشاء وحدات عسكرية فلسطينية أطلق عليها "فوج التحرير الفلسطيني" من الفلسطينيين المقيمين في العراق، تكون مهمتها الأعداد والاستعداد لخوض معركة تحرير فلسطين.

وللتدليل بشكل أكبر على أسلوب المناورة من خلال استخدام القضية الفلسطينية كأحد وسائل أو أشكال خلاف الزعامات العربية، فقد أشار الملك حسين ملك الأردن في اجتماع له مع الملك سعود ملك السعودية في العاصمة السعودية الرياض أواخر تموز من عام 1961¹⁰³، بأنه يرغب في فصل الضفة الغربية عن الأردن وذلك من خلال مساعي

¹⁰² سفي البيلع، 1983، ص 213.

¹⁰³ محمد حسين هيكيل، سنوات الغليان، 1988، ص 549.

ونشاط "لجنة الخبراء لفلسطين" ، وهو الأمر الذي ينافق حقيقة مواقف وسلوكيات النظام الهاشمي الأردني على صعيد القضية الفلسطينية من المعارضة التامة لإنشاء كيان فلسطيني مستقل يمارس السيادة على الضفة الغربية، فقد عارض بشكل علني هذه التصريحات أكان ذلك على مستوى فعاليات الجامعة العربية أو على صعيد المقترنات أو المشاريع العربية.

وبالعودة إلى مفهوم الوحدة العربية وعلاقة الوحدة بالتحرير، أي تحرير فلسطين، نجد أن الغموض والضبابية كانت السمة الملزمة لتلك العلاقة فالقوميين العرب بعمامتهم أمنوا بأن تجسيد الأفكار القومية يتم من خلال دورهم السياسي، وتجسيد الأفكار والمبادئ يقود إلى إقامة الوحدة عملياً، ثم أعطوا لهذه الوحدة دور التحرير، وذلك بناءً على أن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم إلا بالقوة، والقوة لا يتم الوصول إليها إلا بالوحدة، ولكن ما هو معنى مفهوم القوة؟؟ وما شكل هذه القوة؟؟ وهل أن دولة الوحدة ستتحرر فلسطين؟؟ بافتراض وضعها للتحرير ضمن أولويات إستراتيجيتها؟؟ وكذلك ما هو المقصود بالوحدة وإن وصفت بالشاملة؟ أهي وحدة دستورية أم تضامن عربي مشترك أم قيادة عسكرية مشتركة؟ أم أنها حرب شعبية عربية الأداة؟؟¹⁰⁴

وبالتالي فقد كانت هنالك انعدام واضح لإستراتيجية معركة التحرير، بل الأكثر من ذلك أنها كانت معركة مؤجلة –إن لم تكن في حقيقة الأمر غير مرغوب بها–، يضاف إلى ذلك أن كل مشاريع الوحدة العربية التي طرحت على الساحة العربية لم تبحث في

وهي لجنة منبثقة عن الجامعة العربية ، كانت تحاول تقديم التوصيات عن أهمية وجود كيان فلسطيني مثل الشعب الفلسطيني، مع التسليم بأن الضفة الغربية وديعة تحت مسؤولية السيادة المائية الأردنية إلى حين حل مشكلة فلسطين برمتها.

¹⁰⁴ إبراهيم ابراش، 1987، ص ص 126-142.

مضمون ومحتوى دولة الوحدة، أما من جانب آخر فقد ابتعدت تلك الطرюhat والمبادئ القومية عن الموضوعية من خلال تأكيدها المطلق بأن الوحدة بأي شكل من أشكالها يعني القوة الكفيلة لتحرير فلسطين¹⁰⁵.

لقد أعتبر حملة العقيدة القومية العربية أن الصراع مع إسرائيل لن ينتهي إلا ببنهاية وفاة أحد الطرفين، وقد رفعوا شعار "إما نحن وإما هم"، كما وأعتبر أن هذا الصراع يضرب جذوره في التاريخ ويهدد الأمة العربية بأكملها وإن كانت فلسطين هي الطرف المتضرر فيه، وما فلسطين إلا البداية لضرب الأمة وطموحاتها نحو الوحدة والتقى¹⁰⁶.

وعلى أثر قيام الجمهورية العربية المتحدة، وبناءً على ادعاءات الرابط العضوي ما بين الوحدة العربية والقضية الفلسطينية، قام الحاج أمين الحسيني في العام 1958 وتحديداً عقب قيام الوحدة بتوجيهه مذكرة إلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر طالباً فيها انضمام فلسطين إلى دولة الوحدة¹⁰⁷-مندداً بالموقف العربي المتهاون إزاء قضيته المركزية- والسعى الجاد لتشكيل جيش فلسطيني يتم تدريبيه وتسلیحه لخوض معركة التحرير، موضحاً أن فلسطين وحدها التي تشكل الجسر ما بين شطري دولة الوحدة¹⁰⁸، لقد كان الحسيني طيلة مسيرة حياته السياسية يؤمن بالأفكار والمبادئ القومية، وقد دعا إلى الوحدة العربية مراراً وتكراراً، غير أن واقع الحال كان دائماً يوجه له

¹⁰⁵ المصدر السابق، ص 122-131.

¹⁰⁶ نفس المصدر، ص 91-92.

¹⁰⁷ محمد أمين الحسيني ، حقائق عن قضية فلسطين: تصريحات وأحاديث للسيد محمد أمين الحسيني ، (القاهرة: مطباع دار الكتاب العربي، ط. 3، 1957) ص 238-239.

¹⁰⁸ المصدر السابق، ص 238.

الصفعة تلو الأخرى، فكلما اشتدت النزاعات والخلافات بين الأنظمة العربية لجئوا إلى حل خلافاتهم على حساب القضية الفلسطينية أو استخدموها كسلاح لكل منهم في وجه الآخر¹⁰⁹.

وكلما كانت الجماهير الفلسطينية سموا زالت - تصطدم بخيبة الأمل من المواقف العربية بالذات على صعيد الأنظمة، فقد فجعت برفض عبد الناصر لطلب الانضمام لنواة دولة الغد العظمى الجمهورية العربية المتحدة، معللاً رفضه ذلك بأولوية التحرير ثم إجراء عملية الانضمام على ن يترك للشعب الفلسطيني حرية اختيار هذا الأمر¹¹⁰، إلا أن رفض عبد الناصر لطلب الانضمام هذا، لم يكن سوى تخوف من التفرد بتحمل أعباء ومسؤولية تحرير فلسطين، في الحين الذي كان فيه عبد الناصر يولي الاهتمام لدولة الوحدة التي لم يكن أحد أهدافها الأساسية والرئيسية القضاء على إسرائيل¹¹¹، وسعياً لعدم المبالغة بالأمال المرجوة والمعلقة على دولة الوحدة، ذهب عبد الناصر إلى اتخاذ إجرائيين يخففان الثقل عن كاهله، فطلب من جامعة الدول العربية بحث مسألة إحياء الشخصية الفلسطينية وإنشاء الكيان الفلسطيني المستقل، وكذلك تم إعلان الدستور المؤقت للشعب الفلسطيني الخاص بقطاع غزة¹¹²، وبالتالي كان دور دولة الوحدة في نظر عبد الناصر ممارسة ضغط سياسي وعسكري على إسرائيل لردعها عن أي عمل عدواني جديد،

¹⁰⁹ تسفي البيلغ، مصدر سابق ذكره، ص 210.

¹¹⁰ فيصل الحوراني، عبد الناصر و القضية الفلسطينية ، 1987، ص ص 24-28.

¹¹¹ ابراهيم ابراش، 1987، ص 143 ، كذلك انظر : ماهر الشريف، 1995، ص 81.

¹¹² فلسطينيون هارب، 1966، ص 128.

كاحتلال جزء آخر من الأراضي الفلسطينية أو العربية أو توجيهه ضربة عسكرية لإحدى الدول العربية في المنطقة.

لكن لماذا كان مثل هذا التوجه لدى عبد الناصر؟؟ لقد أدرك عبد الناصر العديد من العوامل التي تعمل على تحديد منهجية حل الصراع مع إسرائيل، فقد أدرك مدى القوة العسكرية لإسرائيل وطبيعة تحالفاتها الخارجية مع الدول الغربية، في مقابل القوة العسكرية العربية وإمكاناتها الاقتصادية -آنذاك-، كما تيقن من عدم جدية الأنظمة العربية في العمل على تحرير فلسطين عسكرياً، وبالتالي فإن الدخول في معركة عسكرية دون ضمان الحد الأدنى من مقومات النصر يعيد إلى الأذهان هزيمة عام 1948 ونتائجها، إلا أن العواقب الوخيمة ستكون عندها على درجة أكبر، يضاف إلى ذلك كلّه إدراك عبد الناصر لشرعية وجود إسرائيل على المستوى الدولي.

وبناءً عليه فقد كان مفهومه للحرب ضد إسرائيل ضمن مفهوم الحرب الداعية أي تبني الاستراتيجية والخطوات التي تحول دون إقدام إسرائيل على اللجوء إلى المواجهة العسكرية، وصد التحرشات الإسرائيلية بردود أفعال متزنة وغير متسرعة أو طائشة دون حساب للعواقب، وقد أكد على ذلك باستعداده لحل سلمي بشروط مشرفة للعرب -على حد تعبيره- وفي سياق قرارات الأمم المتحدة¹¹³.

وعلى عكس ما تصورت حركة القوميون العرب من أن معركة التحرير هي معركة حياة أو موت، فإن عبد الناصر تصور إستراتيجية حل الصراع مع الإسرائيлиين

¹¹³ إبراهيم ابراش، 1987، ص 137.

انطلاقاً من سياسة الحل السلمي وليس بناءً على مبدأ "إما نحن وإما هم"، فالقوة كانت موظفة لخدمة المنهج السلمي¹¹⁴.

ولعل النظام الإقليمي العربي بعناصره وجماهيره لن ينسى ذلك اليوم الذي استيقظت فيه الشعوب العربية على نبأ وقوع الانقلاب الانفصالي في الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة (سوريا) تحديداً في يوم 28 أيلول 1961، فكان الخبر على أذني عبد الناصر يشكل صدمة قاضية، لكن هل كانت تلك الصدمة مفاجئة بالنسبة له؟ وهل كان ينبغي له أن يفاجأ بها؟ لقد كانت الأفق تلوح بنذر حدث قريب، وأن دمشق ستكون مسرح ذلك الحدث¹¹⁵.

لقد حدث الانفصال، فقد قام عناصر وعدد من ضباط الجيش السوري بحركة انقلابية أعلناها على إثرها السيطرة على مقاليد الحكم في سوريا، ثم قاموا بإعلان شروطهم للحفاظ على دولة الوحدة، غير أن الجو العام المحيط بشتى أطراف المعادلة الوحدوية لم يكن ليسمح بأي حل وسط -حتى بعد أن تم إيجاده- فالحال بالنسبة لقيادة الانقلاب يتمثل بأن أي تراجع أو مساومة بعد الخطوات العملية للانقلاب كانت تعنى المجازفة الكبرى والعواقب الوخيمة، في حين الذي لم يكن الحال فيه أفضل عند عبد الناصر فقد رأى بأن الوحدة قد بنيت على مبادئ وبالتالي لن تعيش على المساومات¹¹⁶.

¹¹⁴ Ghada Hashem Talhami, Palestinian and Egyptian National Identity, New York. P.89

¹¹⁵ محمد حسين هيكل، ما الذي جرى في سوريا، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت) ص 3

¹¹⁶ محمد حسين هيكل، سنوات الغليان، 1988، ص 569-570.

وهكذا تم الانفصال، وتشكلت في سوريا حكومة برئاسة مأمون الكزبرى¹¹⁷، وكانت الأردن أول دولة تسارع إلى الاعتراف بحكومة الانقلاب وبالنظام الجديد في سوريا منذ لحظات عمره الأولى، كتدليل عملي على مدى العداء الكامن لمشروع الوحدة، لنتوالي في أعقاب ذلك الاعترافات بالحكومة الجديدة بسرعة وفاعلية¹¹⁸.

واستطاع عبد الناصر الاستفادة من صدمة الانفصال بسرعة، فقد أظهر له ذلك الحدث المرير مدى عدائية الأنظمة الرجعية المحافظة وتيقن من استحالة التعامل معها، فثبتت له بالوجه الشرعي فشل سياسة وحدة الصف، مما قاده إلى مراجعة طروحته القومية، وبالتالي المناداة بوحدة الهدف، كشعار أساسى للتوجه القومى، حيث كان عبد الناصر يعني من هذا التحول الجديد وهذا الشعار ضرورة "الالتزام المسبق بأهداف الأمة العربية بالتحرر والاشتراكية والوحدة"¹¹⁹.

ومما لا شك فيه أن انهيار دولة الوحدة وتزعزع مكانة العقيدة القومية، كانتا من أهم العوامل التي لعبت الدور الأساسي في تغيير موقف حركة القوميين العرب وتبنيهم أسس عمل جديدة، سعياً لبعث الروح في الحركة القومية العربية الفلسطينية من أجل حقوق الشعب الفلسطيني وقضيته، حيث أن حركة القوميين العرب، حاولت أن تلعب دور القوة الضاربة، فربطت مصيرها بمصير دولة الوحدة، وعندما انهارت دولة الوحدة

¹¹⁷ محمد حسين هيكل، ما الذي جرى في سوريا، ص 121.

¹¹⁸ محمد حسين هيكل، سنوات الغليان، 1988، ص 572.

¹¹⁹ مارلين نصر، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر: دراسة في علم المفردات والدلالة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 4).

286-289) ص ص 1990.

حاولت الحركة هذه المرة لعب دور المخلص أو المنقذ، وفي حقيقة الأمر لقد فشلت الحركة في كلا الدورين¹²⁰.

بالرغم من أن الحركة أبقيت على وجودها بعد أن أُعلن عن قيام دولة الوحدة، ولم تحل نفسها، حيث اعتبرت أن بقائها واستمرارها سيقوى ويثبت وجود الوحدة، وأن تواجدها على الساحة العربية ونشرها للأفكار القومية والدعوة إليها سيقود إلى تطور مشروع الوحدة العربية بين مصر وسوريا، والذي مثل في وجهة نظرها النواة الأولى، ليشمل باقي الدول العربية، غير أنها من خلال عملها المتراكب طوال سنين الوحدة، إلى أن وقع الانفصال لم يستطع عملها ذلك أن يصل إلى المستوى الذي هدفت إليه الحركة، بل الأسوأ من ذلك أنها لم تستطع إيقاف عملية الانفصال تلك بالرغم من تولي عدد من أفرادها مراكز قيادية داخل أجهزة دولة الوحدة وتنسيقها التام معها داخل الإقليم الشمالي -سوريا - دولة الوحدة.

إلا أن الفلسطينيين بعاميّتهم اعتبروا أن الانفصال خطيئة لا يمكن مغفرتها، فلم يستطع القوميون الفلسطينيون مجاراة رفقاءهم القوميون من الأقطار العربية في تبرير الانفصال وضرب الوحدة التي تشكل الهدف المركزي للعقيدة القومية، مع اعتراضهم على بارتكاب دولة الوحدة العديد من الأخطاء، وبناءً عليه فقد كانت خيبة الأمل الفلسطيني على كارثة الانفصال عميقة، وذلك لأنه لم تتوافق له أي شكل من أشكال الاستقلال أو الحكم الذاتي، فلم يعي واقع التجزئة وحقيقة، يضاف إلى ذلك أن الوحدة بالمنظور الفلسطيني لم تكن مجرد حلم تاريخي يتمسكون تحقيقه، أو مجرد نظرة متفائلة لغد قومي

¹²⁰ أميل توما، 1986، ص 113.

أفضل، ولكن كانت الوحدة العربية هي الأمل بتحرير الوطن المغتصب والاستقلال الوطني وتأسيس الدولة المستقلة. بما معناه أن دولة الوحدة ستمثل الكماشة التي ستطوق فلسطين المحتلة (إسرائيل) ¹²¹.

ولاكتمال الصورة حول أسباب انهيار الجمهورية العربية المتحدة ووقوع الانفصال، فإن عبد الناصر بحد ذاته يتحمل جزءاً ليس بالقليل من مسؤولية ذلك الانفصال، فقد عمد عبد الناصر إلى تعين رجاله في شتى المراكز الحساسة والمهمة في سوريا كدوائر الحكومة وقوى الأمن والجيش، مما أثار حفيظة وعداء العديد من الفئات ذات المصالح المكتسبة، وكذلك ذلك الشعور بالأبعاد الذي ساد بين البعثيين والمعاطفين معهم نتيجة التهميش الذي واجهوه، يضاف إلى ذلك كله عملية الاقتلاع الاجتماعي – الاقتصادي التي نجمت عن العديد من الإجراءات التي لم تراعي الخصوصية السورية وبالذات على بعض الجماعات التقليدية القوية ¹²²، وبهذا يكون الانفصال هو نتاج للعديد من الأسباب والمتغيرات والأدوار لعدة شخصيات رئيسية في ذلك المشروع الوحدوي ¹²³.

وبهذا تكون أعوام الوحدة هي أعوام المرحلة الدفاعية والعمل من أجل البقاء وبناء القوة ولمنع وقوع كارثة أخرى ككارثة فلسطين، وبالانتقال للأعوام التي تلت أعوام الوحدة تلك فقد أصبح التشديد على أهمية التحولات الاجتماعية وتبني شعار وحدة الهدف ¹²⁴، وذهب عبد الناصر إلى الوضوح بأبعد حدوده عندما أعلن لوفد فلسطين من

¹²¹ شفيق الحوت، ص ص 65-68.

¹²² هنري لورنس، 1992، ص ص 197-198.

¹²³ محمد حسين هيكل، ما الذي جرى في سوريا، ص ص 119-121.

¹²⁴ مارلين نصر، 1990، ص ص 289-286.

قطاع غزة عام 1962 بأنه لا يملك خطة لتحرير فلسطين، وأن قضية فلسطين هي أصعب قضية، وأن المشكلة ليس فقط بإسرائيل إنما بمن وراء إسرائيل¹²⁵. وفي خضم تلك الأحداث صعد حزب البعث إلى سدة الحكم في العراق من العام 1963 وأطيح بنظام عبد الكريم قاسم وهو الأمر الذي سنأتي على تفصيله لاحقاً، ليتولى عبد السلام عارف رئاسة النظام الجديد ويشرع في تجديد أو اصر التفاهم مع عبد الناصر، فبدأ يطرح مقتراحات للوحدة ويطالب بالعمل الفوري من أجل تحقيقها، وبالتالي فقد نظر بشكل سلبي للحاج أمين الحسيني بناءً على علاقة الأخير مع قاسم¹²⁶، مما يدل على استخدام القضية الفلسطينية كسلاح أو أداة على جميع مستويات العلاقات في المنظومة العربية. وبهذا التوجه العراقي الجديد أثيرت حفيظة سوريا التي كانت قد تهمش دورها عقب الانفصال عام 1961، فأخذت توجه لعبد الناصر الاتهامات بكون أن سياساته اتجاه إسرائيل هي سياسة احتواء وليس سياسة تحرير، وذلك لاستعادة الدور المرغوب على مستوى النظام الإقليمي العربي.

وعلى الجانب الآخر فإن الفجوة العميقة في معسكر المحافظين التي سببها انهيار نظام الأئمة الملكي في اليمن قد أحدث اضطراب وتوتر شديد على مستوى علاقة المعسكرين المتناحرتين داخل النظام الإقليمي العربي، لتطلاق شرارة حرب الإنابة بوقوف

¹²⁵ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية: نظرة عام 1948-1987، ص 25

¹²⁶ تسيفي البياع، 1983، ص 213.

عبد الناصر ودعمه للثوار الانقلابيين، ومساندة السعودية للنظام المخلوع وليس تمر هذا الصراع على مدى خمس سنين مقبلات من عمر النظام الإقليمي العربي¹²⁷.

¹²⁷ هنري لورنس، 1992، ص 206

الفصل الثاني

الكيان الفلسطيني:
تحدياته ما بعد دولة الموحدة

الفصل الثاني

الكيان الفلسطيني: تحدي أزمات ما بعد دولة الوحدة

ربما أمكن القول أن النظام الإقليمي العربي قد تعم بالقليل من الهدوء وانخفاذه حدة المشاحنات لفترة وجيزة في أعقاب انفصال الجمهورية العربية المتحدة، التي شكلت دولة الوحدة ما بين مصر وسوريا، في ما تبقى من عام الانفصال 1961 والعام الذي تلاه، باستثناء تلك الحملة الدعائية والسياسية التي شنها عبد الناصر ضد منافسيه أو أعداءه إن جاز القول، من خلال تحميлем مسؤولية ذلك الانفصال واصفاً تلك الجهات والأقطاب التي وقفت وراء الانفصال بالرجعيين، ليتمحور التنازع والتنافس العربي بشكل

الصراع الأيديولوجي بين من أدعى الثورية وبين من وصف بالرجعية¹.

يضاف إلى ذلك الصراع الدائر بين عبد الناصر وقاسم وعمل كل منها من خلال تسخير القضية الفلسطينية لبلوغ أكبر استقطاب ممكن من حوله، حيث كان عبد الناصر قد عمل على تأسيس الإتحادات القومية الفلسطينية، وفي مقابلها أنشأ قاسم ما أطلق عليه فوج التحرير الفلسطيني على إدعاء بأنه سيكون الطليعة بين الجيوش التي ستتحرر فلسطين، تكون الصورة جلية بأن الحرب الباردة المشتعلة نيرانها بين الأنظمة العربية لم تتوقف على المعسكرين المتنافسين بل أبعد من ذلك داخل كل معسكر بشكل من الأشكال وإن اختلفت الصورة.

¹ M.E.Yapp, 1991, pp. 251- 252.

غير أن حقيقة الأمر الواقع تقر بأن حادثة انهيار تجربة الوحدة لم تزد الواقع العربي سوى اتساع فجوة الانقسامات، لتمهد فيما بعد الأرضية الازمة لتفاقم الأزمات والمنازعات في ما بين أنظمة النظام الإقليمي العربي.

ولنظهر هذه الصورة جلية وواضحة منذ مطلع عام 1963، حيث كان استهلال أحداث ذلك العام وما تبعه من سنين، بما حدث على ساحتى العراق وسوريا من انقلابات قادت حزب البعث إلى سدة الحكم في كل منها²، ليصبح عدم التوافق داخل النظام الإقليمي العربي هو السمة الرئيسية لأعضاء هذا النظام، وكذلك إظهار حقيقة إذا ما كان لهذين الانقلابيين أي تأثير على مسألة السعي نحو الكيان الفلسطيني ومن ثم تأسيسه.

وكذلك على الجانب الآخر لمسرح أحداث النظام الإقليمي العربي، فقد شهدت القضية الفلسطينية عودة ساخنة لها على جدول أعمال الأنظمة العربية بزعاماتها³، حيث كان ذلك نابعاً من تزايد حدة الصراع العربي - الإسرائيلي من جهة، وكذلك من جهة أخرى تطور ونمو الحركات القومية والوطنية الفلسطينية كحركة القوميين العرب وحركة فتح وظهور مدى عزمهما وإصرارها على تثبيت استقلالية الشخصية الفلسطينية وابرازها، وإنشاء الكيان الفلسطيني المستقل⁴، فكان لا بد من تحرك عربي لمجاراة التموجات الفلسطينية واحتواها، لئلا تصبح خارج سيطرة النظام العربي مما قد يفرض حال معين داخل النظام بحد ذاته.

²Uriel Dann, 1989, P.127.

³ أميل توما، 1986، ص 115
⁴ فيصل الموراني، عبد الناصر والقضية الفلسطينية، 1987، ص 26-27

أي بمعنى آخر أن تفقد الأنظمة العربية السيطرة على القوى الفلسطينية، فتؤثر تلك القوى على سلوكيات بعض الأنظمة وتجعلها تتخذ مواقف معينة لاتتناسب وتوجهت النظام الإقليمي بمجمله، أو إحداث خلل في توازن القوى القائم بين أقطاب النظام، بناءً على استقطاب الجماهير العربية لرفض مواقف تلك الأنظمة فتهاجر أنظمة معينة أو تضعف فيتغير حال المعسكرين لصالح إدراهما في وجه الآخر، فينتهي الأمر بسيطرة المعسكر الأقوى وهيمنته على النظام الإقليمي، ومن الجهة الثانية أي مواجهة العدو الإسرائيلي، وهو الأمر الذي لا يدخل في حسابات الأنظمة العربية، حيث كانت حقيقة استراتيجية التعامل مع إسرائيل قد اتضحت من قبل تلك الأنظمة والزعamas بأغلبيتها بأنها سياسة احتواء وليس سياسة مواجهة وتحرير. فكان لزاماً على تلك الأنظمة العربية من خلال ذلك التوجه كبح جماح الفلسطينيين حتى لا يدخلوهم في مواجهة مباشرة مع إسرائيل هم لا يرغبون بها.

وهكذا بدأت المشاريع العربية والتحركات الفعلية تتواتى لإحداث فعل عملي على مستوى القضية الفلسطينية لتدرك ما لا يحمد عقباه، خاصة وأن استراتيجية الثورة والكافح المسلح التي أطلقتها على وجه الخصوص حركة فتح، بدأت تطفو على السطح في شتى مناطق التجمعات الفلسطينية وكافة توجهاتها الفكرية مما أخذ ينذر بضبابية ما هو أتي.

غير أن ذلك التخوف رافقه ما يمكن أن يطلق عليه اقتاص الفرص لتحقيق المأرب المصلحية⁵، خاصة بظل ما كانت تتمتع به القضية الفلسطينية من صدىً رنان وبالغ التأثير على مستوى الشارع العربي، فقد مثل إعادة هذه القضية لطاولة النقاشات والحوار العربي، على سبيل المثال، الفرصة الملائمة للرئيس جمال عبد الناصر لتأكيد زعامته للوطن العربي والحركة القومية العربية⁶، فقد تركت حادثة الإنفصال الأثر السلبي بالاعتماد على فشل التجربة فأضعفت من مكانة ناصر على كلا المستويين: العربي بشكل عام وبين دعاة القومية بشكل خاص، في حين الذي مثلت فيه هذه الفرصة للنظام السوري الطريق المباشر للخروج من مأزق العزلة الإقليمية والذي عاشه منذ وقوع انفصال دولة الوحدة⁷، باعتباره اليد المنفذة لذلك الحدث الصعب.

وبالتالي فقد تراكمت هذه الأحداث كلها، لتخرج من صلبها تطورات عديدة ذات أهمية بالغة على مستوى الإدراك السياسي للنظام الإقليمي العربي، ظهر ما عرف بمؤتمرات القمة العربية، ليسود من خلالها بعضاً من أشكال التعاون والوفاق بين عناصر النظام العربي ولفترات محدودة، وكذلك ليتم إنشاء أول كيان فلسطيني برعاية تلك الأنظمة والزعماء كان من أهمها دور النظام المصري بقيادة عبد الناصر، يقوم على إدارة مهامه وأشخاص غير أولئك التقليديين الذين عملوا في النضال الوطني الفلسطيني، ليكون ذلك فاتحة عهد جديد لمراحل تطور القضية الفلسطينية ومجرى سيرها التاريخي.

⁵Rosemary Sayigh, *Palestinians: From Peasants to Revolutionaries*, London, 1979, p.101

⁶Clinton Bailey, 1984, p.22.

⁷Malcolm Kerr, 1971, p.113.

المبحث الأول

سقوط بعض القيادات العربية والمشاريع الإسرائيلية

شهد النظام الإقليمي العربي في العام 1963 زوال عدد من رموز عناصره التقليدية من خلال العديد من الانقلابات والثورات - وإن كان بعضها سلمياً - ليأخذ ذلك النظام شكلاً متبيناً في علاقات عناصره وتفاعلاتهم البيئية، فهل كان وصول حزب البعث إلى رأس الهرم السياسي وإدارة دفة الحكم بشكل فعلي في كل من العراق وسوريا⁸ ذو تأثير حقيقي وملموس على حالة الحرب الباردة داخل النظام الإقليمي العربي وكيف كان ذلك ذو تأثير على الصراع من أجل الكيان الفلسطيني؟؟ وكذلك وباستباق الأحداث، هل كان التحول الآخر داخل كل من السعودية وال العراق في نهاية هذا العام يمارس نفس الضغط والتأثير على ذلك النظام الإقليمي العربي، من خلال تولي فيصل (الأخ الأصغر) عرش السعودية وعزل سعود سلمياً، بناءً على إجماع العائلة المالكة⁹، وأيضاً ما قام به عبد السلام عارف من استيلاء على السلطة في العراق بقوة الجيش¹⁰، فهل كانت هذه الأحداث مجتمعة كفيلة بتغيير تلك الصورة القاتمة السلبية للعلاقات العربية المتبادلة وخصائص نظامهم الإقليمي؟؟ أي كيف أن تغير بعض قيادات الأنظمة العربية داخل النظام الإقليمي العربي عمل على إعطاء شكل آخر لذلك النظام، أو أنه قد أحدث تغيراً

⁸Uriel Dann, 1989, p.127.

¹⁰M.E.Yapp, 1991, p.239.

⁹ هنري لورنس، 1992، ص ص 206-208 .

حقيقياً في طبيعة العلاقات السائدة والقائمة لينهي تلك الصورة من الحرب العربية الباردة
أو لعله زادها اشتعالاً؟؟

أما على الجانب الآخر فيبرز التساؤل حول إذا ما كانت الممارسات الإسرائيلية
من تنفيذ للمشاريع الاستعمارية وسياسات توسيعية قد تركت شيئاً من ذلك الأثر على سلوك
عناصر النظام الإقليمي العربي وطبيعة علاقاتهم المتبادلة، بناءً على الصراع القائم بين
الدول العربية وإسرائيل، وتمرز القضية الفلسطينية في سلم أولويات تلك الأنظمة العربي
[حسب ما كانوا يدعون].

فقد تركر الصراع العربي الإسرائيلي في حقيقته عقب قيام دولة إسرائيل عام
1948 على أرض فلسطين التاريخية واحتلالها للجزء الأكبر من تلك الأرض، ودخول
الدول العربية في حرب ضد الدولة الإسرائيلية وتلقي تلك الدول العربية الهزيمة، حيث
ترسخ وجود إسرائيل على أرض الواقع وحصلت على الاعتراف الدولي بنشوئها،
وبالتالي أصبح الصراع سمة علاقات الدول العربية بدولة إسرائيل، إلى أن جاء عام
1956 وما رافقه من عدوان ثلاثي على جمهورية مصر واحتلال إسرائيل لقطاع غزة
لتتصاعد بذلك حدة الصراع والمواجهة، ثم لتصبح مشاريع إسرائيل الاستعمارية التوسعية
سبب في إثارة القلق والإضطرابات في المنطقة، كمشاريع استغلال مياه نهر الأردن
والذي شرعت إسرائيل في طرحه وتنفيذه منذ منتصف عقد الخمسينيات، لتعلن في نهاية
عام 1963 عن قرب انتهائها من تنفيذ المرحلة الأولى لمشروعها، مما عمل على زيادة

الأوضاع سوءاً وتدوراً، غير أنه حفز على معاودة طرح القضية الفلسطينية على طاولة المشاورات العربية لمواجهة التحديات والمشاريع الإسرائيلية.

ففي الثامن من شباط لعام 63 نجح عناصر حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق من إسقاط حكم عبد الكريم قاسم من خلال انقلاب قاموا به¹¹، قاد بهم لتولي مهام شؤون السلطة، ليتبعه في أعقاب ذلك وبعد شهر على وجه التحديد، انقلاب آخر قام به عناصر حزب البعث في سوريا ضد أقطاب نظام الحكم الانفصالي، ليصلوا بذلك إلى سدة الحكم¹²، وبالتالي فقد بدأت ترجمة كفة الأفكار القومية الوحدوية، وبدا أن معسكر الثوريين بدأت سلطته ونفوذه بالتعاظم خصوصاً في مواجهة أولئك المحافظين، بعد أن كانت القطيعة التامة قد وقعت بين مصر والسعودية، الركنين الأساسيين في المعسكرين المتنافرين داخل المنظومة العربية، على أثر الحرب الأهلية في اليمن.

إلا أن أول المتأثرين بهذه التغيرات على الساحة العراقية، كان الحاج أمين الحسيني الذي نظر إليه النظام العراقي الجديد نظرة سلبية بسبب علاقته السابقة بقاسموكذلك طموح النظام الجديد لإزالة كل الحواجز بينهم وبين نظام عبد الناصر لإيجاد طريق للتفاهم والتقارب، وقد كان ذلك النظام العراقي الجديد بقيادة عبد السلام عارف يدرك جيداً العداء المتأصل بين عبد الناصر والجاج أمين فائز أن يبعده عن طريق ذلك التفاهم، فقطع علاقته مع الحاج أمين وجاهر بعدائته¹³.

¹¹Ibid.

¹²Ibid, P. 253.

وانطلاقاً من ذلك التوجه القومي الوحدوي المتتصاعد نجمه بتلك التحولات الجذرية، ظهر على الساحة العربية المبادرة بعودة إطلاق المطالبة بإقامة وحدة عربية جديدة، حيث استقبل النظام المصري خبر سيطرة حزب البعث على مقاليد الحكم في كل من العراق وسوريا بنوع من الرضى والقبول، معرباً عن التضامن والتعاون، حيث ذهب عبد الناصر إلى الإشارة إن مثل هذا التحول قد خضع لتأثير عميق بناءً على موقفه الثوري التحرري من قضية اليمن فكان كنتيجة مباشرة لذلك الموقف¹⁴.

وبشكل مباشر بدأت المشاورات لإقامة ذلك المشروع الوحدوي المتمثل بدولة فدرالية وحدوية عربية، تضم بين ثناياها تلك الأقطاب العربية الثلاث الأكثر توجهاً نحو الأفكار القومية الوحدوية وهي مصر وسوريا والعراق، وفي خضم تلك المحادثات والمشاورات برزت بشكل واضح مدى الانقسامات الحادة وتلك الحالة العميقة من عدم الثقة المتبادلة، حيث أن الجماهير العراقية لم تكن تحمل ذلك الحلم التاريخي ذو النزعة العاطفية القوية للوحدة مع مصر، في حين الذي تمسك فيه بعثي سوريا برغبتهم بالاحتفاظ بسيادتهم على عكس ما فعلوه في وحدة عام 1958.¹⁵

إلا أن التناقض الذي ساد أجواء هذه المساعي، هو ما تمثل بسلوكيات تلك الأقطاب الثلاث مصر والعراق وسوريا وبالذات الأخيرتين، وذلك لأن الدعوة والتوجه للمطالبة بتطبيق الأفكار والمبادئ القومية بإقامة دولة الوحدة العربية قد رافقها ربط عضوي عميق بين الوحدة وتحرير فلسطين، حيث لم يكن تكيز تلك الدول على صلب

¹⁴ فواز جرجس، 1997، ص 221.
¹⁵ المصدر السابق، ص 222.

المبادئ القومية وأهدافها، بل كانت الخلافات الشخصية والتصميم على توجيهه مشاريع الوحدة حسب الرغبات والمصالح الخاصة لكل طرف هو العنصر الأساسي في الجهد نحو الوحدة وليس ذلك الهدف النبيل من توحيد للعرب سعياً لتحرير فلسطين.

لقد كان تخوف البعثيين منصباً على الخشية من إمكانية إنهاء أنظمة حكمهم التي بذلوا كل ما في وسعهم للوصول إليها، كما أن العراقيين بالذات أخذوا بعين الاعتبار طبيعة التشكيل الجماهيري لمجتمعهم من شرائح وقوى متباعدة دينية وعرقية وسياسية، ولهذا أكدوا على رغبتهم بأن تكون الوحدة ضمن إطار الشراكة المتساوية، أي قيادة فدرالية جماعية تبتعد عن مضمون حكم فرد واحد لتلك الدولة الواحدة المزمع إقامتها¹⁶.

ورغم كل ذلك فقد تم توقيع اتفاقية لإقامة اتحاد فدرالي في 17 نيسان 1963 شملت الأقطاب الثلاثة¹⁷، غير أن هذه الاتفاقية لم تخرج إلى النور ولم تتعذر كونها حبراً على ورق، اعتبرها البعض لا تستحق قيمة الورق الذي كتب عليها¹⁸، فلم يمضي الوقت طويلاً حتى اندلعت نيران الحرب الدعائية بين مصر وسوريا على وجه الخصوص، بعد أن عمد النظام السوري إلى قمع العناصر القومية الناصرية داخل سوريا، مما عمل على استفزاز الرئيس عبد الناصر، وجعله ينتمي البعثيين بتبني سياسة لا وحدوية ولا اشتراكية ولا ديمقراطية، بل انتهاج سياسة انفصالية وإقليمية تسعى لتصفية دعوة الوحدة، معناً إلغاء الاتفاقية الوحدوية الخيرة¹⁹.

¹⁷ Clinton Bailey, 1984, p.15.

¹⁶ المصدر السابق.

¹⁸ فواز جرجس، 1997 ، ص 223.

¹⁹ أميل توما، 1986، ص 114.

لقد لعبت الأهداف المصلحية دوراً بارزاً في السعي وراء تلك الوحدة، فقد مثلت تلك الاتفاقية لعبد الناصر المنبر المتميز لمقارعة التحدي للنظمتين السعودية والأردنية، وكذلك الفرصة الثمينة لاستعادة المكانة المرموقة وتصدر الزعامة على مستوى الوطن العربي²⁰، بعد ما أحدثه الانفصال عام 1961 من تراجع لشعبيته ولزعامتها العربية، وبهذا كان عبد الناصر يخوض حربين على مستوى النظام الإقليمي العربي في آن واحد، الأولى عسكرية في مواجهة السعودية والأردن على حلبة اليمن، والثانية حملة سياسية إعلامية ضد البعث السوري تخللها جدال كبير ولكنه عقيم.

أما بالنسبة لحزب البعث في سوريا فلم تختلف أهدافه ومصالحه الخاصة في مضمونها كثيراً عن توجهات عبد الناصر، فقد سعى أولئك البعثيون إلى طمس صفة اللامركزية عن دولتهم والتي واجهوها منذ انفصالهم عن دولة الوحدة²¹ وكذلك اتخاذ الخطوة السباقة لإقامة الوحدة للوقوف في وجه البعث العراقي بناءً على بزوع فجر التنافس والتناحر بينهما²².

وبذلك تكون تلك الاتفاقية الوحدوية ما هي إلا تعبير واقعي لحقيقة الانقسامات والعداء داخل الحركة القومية العربية والتي لم تمتلك بدورها إرادة سياسية لتطبيق شعاراتها أو لتنفيذ اتفاقياتها، فأصبح الانقسام والتناحر داخل المعسكر الثوري على مثل ما هو حاله بين المعسكرين المتضادين -الثوري والمحافظ- فكان الفشل الذريع لتلك

²⁰ Charles Smith, *Palestine and the Arab – Israeli Conflict*, London: St. Martins Press, 1992 (2nd ed) pp. 184 -186.

²¹ Malcolm Kerr, 1971, p.113.

²² Clinton Bailey, 1984, p.16.

²³ فواز جرجس، 1997 ، ص223

المشاريع الوحدوية ولتفقد اتفاقية الوحدة الثلاثية الباب نهائياً وإلى غير رجعة أمام أي عروض مستقبلية لإقامة كيان وحدة عربية.

غير أن الخطوة التالية للمشاريع العربية لم تتمكن لتعلق بالوحدة العربية، بل بما واكبها من بؤرة مركزية للعقيدة القومية، ألا وهي القضية الفلسطينية، فقد قامت الحكومة العراقية بزعامة حزب البعث، بعد فشل محاولات إقامة الوحدة الثلاثية، بالمبادرة بتقديم مذكرة لمجلس الجامعة العربية²⁴ في العام نفسه عام 1963، تتضمن مشروعأً لبناء كيان فلسطيني من خلال الدعوة لإجراء انتخابات فلسطينية عامة، وتكون الأسباب الحقيقة وراء إطلاق مثل هذا المشروع بما جرت عليه العادة لدى الأنظمة العربية، فبد أن فشلت مشاورات إقامة الوحدة العربية الثلاثية، آثر النظام العراقي إعادة القضية الفلسطينية إلى المائدة العربية لإثبات كونه الأكثر تمسكاً بفكرة الاستقلال الفلسطيني، حيث مثلت القضية الفلسطينية الأداة التي تستخدمها الأنظمة العربية لتسويق نفسها على صعيد انظام الإقليمي العربي، وفي هذا الخصوص فقد كان النظام العراقي حديث العهد وأراد استقطاب الرأي العام العربي حوله بكونه المدافع الأول عن الكيان الفلسطيني، وذلك لتعزيز شرعيته وسلطته ومكانته على مستوى النظام الإقليمي العربي، فلم يكن هناك من سلاح أفضل من القضية الفلسطينية لخوض نزال الحرب العربية الباردة. وقد حمل ذلك المشروع العراقي للكيان الفلسطيني العديد من البنود الأساسية²⁵ كان من أهمها:

²⁴Moshe Shemesh, 1988, p.34.

²⁵ عيسى الشعبي، 1979، ص ص 91-92. كذلك أنظر: Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State, 1997, P.96..

- « يقسم الفلسطينيون العقيمون في كل من قطاع غزة، الضفة الغربية، سوريا، لبنان والعراق وحيثما توافر عدد كاف من الفلسطينيين إلى دوائر انتخابية، تنتخب كل منها ممثلاً عنها.
- « يجتمع الممثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين.
- « تقيم حكومة فلسطين علاقات سياسية مع كافة الأقطار العربية التي ستتعزز بها، وتكون مهمة ممثليات هذه الحكومة تنسيق العمل مع كافة الحكومات العربية من أجل تحرير فلسطين.
- « توضع خطة عربية لاستعادة فلسطين، تشارك فيها الحكومة الفلسطينية، وكافة الدول العربية المهتمة بتحرير فلسطين.
- « تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي، الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبها في كافة المؤتمرات والمحافل والمناسبات الدولية.
- « تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني، الذي تتتعهد الحكومات العربية بمسؤولية تدريبه وتسلیحه، ضمن خطة تعبوية موحدة، تستهدف استعادة فلسطين وتحريرها.
- « يكون مقر حكومة فلسطين في أي قطر عربي تراه مناسباً، وبموافقة ذلك القطر.

وبالنظر بشكل خارجي لهذه البنود والطروحات، يمكن وبشكل واضح رؤية مضممين حقيقيّة للعمل والسعى لإنشاء كيان فلسطيني خاص ومنح الفلسطينيين الصداره في الدفاع عن قضيتهم وتولي زمام امورها بمساعدة الدول العربية ومؤازرتهم. إلا أن هذا الأمر لم يكن الهدف الأساسي من وراء هذا المشروع، وحتى ما سبقه أو ما سيتبعه من مشاريع، فقد كان عامل تسخير القضية الفلسطينية في مواجهة أعضاء النظام الإقليمي العربي لبعضهم البعض هو الأساس، لتكون مسألة الكيان الفلسطيني هي السلاح الأشد حدة لإدامة لهيب الحرب العربية الباردة، التي كان التنازع والتلاقي بين أطرافها هو القاعدة التي أطلقت مثل تلك الحرب، بسبب فشل مساعي الوحدة الثلاثية بشكل أولي وأيضاً حالة الرفض داخل معسكر الثوريين للتفرد المصري الناصري لزعامة هذا المعسكر والساحة العربية، كان لا بد من الخروج بعمل صارخ يعزز من موقفهم ومكانتهم لثبت دعائمه وإرائه، وبذلك لجأ النظام العراقي إلى هذا طرح بظل حداثة عهده ليضمن لنفسه الحيز الأفضل للمنافسة والمناورة على زعامة المعسكر الثوري والنظام الإقليمي العربي، ولنتمكن من خوض نزالات الحرب العربية الباردة، وما أسهم في دعم مثل هذا الطرح والمطالبة به في ذلك الوقت بالذات هو الجانب الآخر وهو الصراع مع إسرائيل، والذي كان تطوره يعتمد على سلوكيات وتوجهات الأخيرة، مما حفز إلى الدعوة إلى تحدي مشاريعها وأهدافها بالعمل على إتخاذ خطوات حقيقة، وذلك للإشارة إلى التصلب والتشدد بوجه إسرائيل وهو الأمر الذي كان يلقى قبولًا وتعاطفًا جماهيرياً باتجاه المنادين به والعاملين لاجله.

وحين عقد مجلس جامعة الدول العربية في دورته الأربعين في أيلول عام 63، شاعت الظروف أن تكون تلك الدورة مخصصة لدراسة مستجدات وتطورات القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي، فقد حملت تلك الفترة العديد من الأحداث التي عملت على إعادة قضية فلسطين إلى سلم الاهتمامات العربية بعد ذلك الركود الذي أصابها عقب انهيار دولة الوحدة، ومن تلك المجريات وفاة السيد أحمد حلمي باشا (رئيس حكومة عموم فلسطين التي أنشئت في غزة عام 1948 من قبل الهيئة العربية العليا) والذي تولى منصب ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية²⁶ - كعضو مراقب لحين تحرير فلسطين - وبالتالي أصبح ذلك المنصب شاغرًا، كما كانت المبادرة العراقية لتأسيس الكيان الفلسطيني المستقل بحثاً طرحتها تنتظر الدخول في غمار المناقشات والمشاورات لاتخاذ القرار، يضاف إلى ذلك كله تصاعد حدة التوتر على صعيد الصراع العربي - الإسرائيلي، من خلال شروع إسرائيل تحويل مجرى مياه نهر الأردن²⁷.

حيث خرج المجتمعون بتلك الدورة بعدة قرارات²⁸ من أهمها:

» تأكيد حق الشعب الفلسطيني في بلاده، وتمكينه من تقرير مصيره بنفسه، وممارسة حقوقه الوطنية كاملة.

²⁶Moshe Shemesh, 1988, p.33.

²⁷M.E. Yapp, 1991, p.302.

²⁸ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، مصدر سابق كره، ص25 و ص30. كذلك انظر : فيصل الحوراني، الفكر السياسي الفلسطيني: دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، (بيروت: مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1980) ص.23 . 1964 – 1974

- » تولي أهل فلسطين أمر قضيتهم، ومن واجب الدول العربية أن تتيح لهم الفرصة لتمكينهم من ممارسة ذلك الحق بالطرق الديمقراطية.
 - » تأييد المبادئ التي يقوم عليها المشروع العراقي بشأن الكيان الفلسطيني، ويعهد إلى وزراء الخارجية بدراستها بصورة شاملة.
 - » تكليف السيد أحمد الشقيري بتمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية، خلفاً للمرحوم السيد أحمد حلمي باشا، كما يعهد للسيد الشقيري بتاليف وفد فلسطيني إلى الأمم المتحدة، يكون برئاسته، ليتولى الدفاع عن القضية الفلسطينية.
 - » يعهد للسيد أحمد الشقيري، عقب الانتهاء من أعمال دورة الأمم المتحدة، بالقيام بسلسلة زيارات إلى الدول العربية لبحث القضية الفلسطينية من جميع جوانبها والوسائل التي تؤدي إلى دفعها إلى ميدان الحركة والنشاط.
- وفي حقيقة الأمر فإن تلك التوصيات والقرارات التي خرجت بها الدورة الأربعين لمجلس الجامعة العربية، وبالرغم من كونها تتخد شكلاً دقيقاً وجدياً على إجراء حدث فعلي، إلا أنها وحتى وقت صدورها لم تكن لتخرج عن نسق القرارات العربية التي صدرت عن جامعة الدول العربية منذ نشوئها والتي كانت تنتهي دائماً إلى أدراج الأرشيف دون أن تخرج إلى حيز التطبيق العملي ولو بشكل جزئي، إلا أن ظروف وأمور أخرى، منها جدية عبد الناصر هذه المرة في إقامة الكيان الفلسطيني، لعبت دور حاسم في الخروج عن ذلك النسق وكذلك جهد الشقيري الذي بذله في هذا الأمر، ويضاف إلى ذلك الظروف الإقليمية التي سادت المنطقة في هذه الحقبة بأشتداد حدة الصراع مع إسرائيل.

وللحقيقة فقد كان الفضل في اختيار الشقيري وتزكيته للعب هذا الدور الكبير، بضغط من الرئيس المصري جمال عبد الناصر²⁹، حيث كان الشقيري قد مارس الحياة السياسية بشغلة منصب رئيس الوفد السوري في الأمم المتحدة، ثم رئيس الوفد السعودي إلى نفس الجهة، فضلاً عن كونه مارس مهنة المحاماة قبل ذلك بمهارة واقتدار³⁰، غير أن عبد الناصر إضافة إلى تلك الصفات التي تمنع بها الشقيري وبكونه مناضل وطني وقومي كبير، فقد رغب في التعامل مع قيادات فلسطينية جديدة غير تلك القيادات التقليدية التي سيطرت على الحركة الوطنية الفلسطينية منذ اطلاقها كأمثال الحاج أمين الحسيني وغيره. وليس هذا فحسب فقد كان تفضيل الشقيري من قبل عبد الناصر يدعمه تدهور العلاقة بين الشقيري والنظام السعودي وكذلك حالة عدم التقارب بين الشقيري والنظام الأردني مما سيعمل على جعل الشقيري يقف بجانب عبد الناصر بكل قواه، فيمثل سلاحاً فعالاً في حرب ناصر ومعسكره في وجه خصومه المحافظين.

إلا أن الشقيري لم يكن ليقبل بتولي ذلك المنصب في الجامعة العربية دون أن يصل إلى يقين في استقلالية الشخصية الفلسطينية وعدم تبعيتها لتلك الجامعة، فاشترط إضافة نص في نهاية قرار مجلس الجامعة الخاص بتعيينه يقول "اختيار السيد أحمد الشقيري مندوباً لفلسطين لدى مجلس الجامعة - وذلك طبقاً لملحق ميثاق الجامعة الخاص بفلسطين - إلى أن يتمكن الشعب الفلسطيني من اختيار ممثله"³¹، وربما يكون الشقيري قد أراد من هذه الشروط هو الحصول على أكبر قدر ممكن من الحرية في العمل

²⁹ أميل نوما، 1986، ص 117.

³⁰ فيصل الموران، الفكر السياسي الفلسطيني، 1980، ص 23.

³¹ احمد الشقيري، من القمة إلى المزعنة مع الملوك والرؤساء، (بيروت: دار العودة، 1971) ص ص 15-17.

والتحرك لإنجاز توجهاته وأهدافه الخاصة، فقد عمل الشقيري في النضال الفلسطيني والعربي فترة طويلة وعلى الأغلب أنه قد امتلك رؤية خاصة سعى لتجسيدها بناءً على توليه لذلك المنصب، وقد وافق مجلس الجامعة على ذلك الشرط، فيما اعتبره الشقيري أول الانتصارات الشخصية الفلسطينية، مما دعاه إلى تأكيد طبيعة مهمته وتصوره وموقفه وحدود سياسته بجراة ووضوح من خلال الكلمة التي ألقاها أمام مجلس الجامعة بمناسبة توليه ذلك المنصب³²، الذي اعتبره "منصب نضالي تملكه أمة تريد أن تناضل من أجل تحرير الوطن، وليس منصبًا رمزيًا أو شكليًا"³³. وقد يكون هذا ما يؤكد ما أشرنا إليه في سعي الشقيري للحصول على منصب فعلي وليس شكلي يمكنه من تطبيق أفكاره وطروحاته الشخصية.

وبعد أن كانت القضية الفلسطينية قد تهافت إلى مسألة لاجئين، خاصة على المستوى الدولي، فقد كان تأليف وفد فلسطيني إلى الأمم المتحدة، يتحدث باسم فلسطين، أول تأكيد فعلى لوجود الشخصية الفلسطينية على ذلك المستوى الدولي³⁴. وبالفعل فقد ألف الشقيري ذلك الوفد الذي تشكل من ثمانية عشر عضواً فلسطينياً، كان من بينهم سيدتان، متّلوا في غالبيتهم فلسطيني قطاع غزة والأردن³⁵، وكان على إسرائيل أن تواجه ولأول مرة منذ عام 1948، خاصة على منبر الأمم المتحدة، وفداً فلسطينياً يتحدث باسم الفلسطينيين، ولذلك عمل الشقيري على طرح القضية الفلسطينية

³² محيرية قاسمية، أحمد الشقيري : زعيمًا فلسطينياً و رالداً عربياً ، (الكويت: 1987) ص ص 282-283.

³³ احمد الشقيري، من القمة إلى المزحة مع الملوك و الرؤساء ، 1971، ص ص 15-17.

³⁴ محيرية قاسمية، 1987، ص 282.

³⁵ احمد الشقيري، أربعون عام في الحياة العربية و الدولية ، (بيروت: دار النهار، 1969) ص 489.

انطلاقاً من أنها قضية سياسية قومية تحررية³⁶، مبيناً إصرار شعب فلسطين على تحرير أرضه واسترداد حقوقه، وذلك في معرض رده على سؤال عضو الوفد الإسرائيلي إبيان (وهو في ذلك الوقت دبلوماسي من أحد أفراد البعثة الإسرائيلية في الأمم المتحدة) حول "إذا ما كان العرب مستعدون للمفاوضة المباشرة لتحرير فلسطين"، حيث كان جواب الشقيري التأكيد على إجراء المفاوضة المباشرة بعد تحرير فلسطين "بحث الضمانات الدستورية لصيانة حقوق المواطنين الشرعيين من اليهود".³⁷

ويبدو أن هذه المجريات وغيرها والتي واكبت الوفد الفلسطيني خلال مشاركته في أعمال دورة الأمم المتحدة، قد لعبت دوراً كبيراً في تبلور فكر الشقيري حول الكيان الفلسطيني وأهمية الكفاح المسلح، عقب انتهاء أعمال تلك الدورة، فجال في خاطره "أنه لم يعد هناك جدوى من الأمم المتحدة، إذا لم يكن وراء خطبنا كفاح مسلح ... فقد دافعت عن قضايا المغرب والجزائر وتونس وليبيا... ودافعت كذلك عن فلسطين... فلماذا أخفقتنا في قضية فلسطين... ونجحنا في أخواتها... الخطب هي الخطب... ولكن الفرق أن كفاحاً مسلحاً كان وراء المغرب والجزائر وليبيا وتونس... أما فلسطين فليس وراءها إلا الخطب"..... "فعزمت أن تكون الدورة آخر دورة أحضرها في الأمم المتحدة... وعزمت أن أساهم في بناء حركة تحرير فلسطين... كما جرى في وطننا العربي في شمال أفريقيا"³⁸، وفي الكلمة التي ألقاها الشقيري في الجلسة الختامية لدوره الأمم المتحدة تلك قال: "إن مشكلة فلسطين هي مشكلة استعمارية... ولا يمكن أن تحل إلا كما حلت

³⁶ المصدر السابق.

³⁷ نفس المصدر، ص 501.

³⁸ المصدر السابق .

المشاكل الاستعمارية، وكما حلت المشكلة الجزائرية..... " وقد أصبح من الضروري

أن نشرع في حركة تحريرية تعتمد على جيش التحرير".³⁹

ويُظهر هذا الحديث الذي بادر به الشقيري أنه تبنى توجه جديد لتشديد اللهجة في الخطاب حول قضية الكيان الفلسطيني وسبل النضال، في التأكيد على ضرورة إقامة حركة التحرير الوطني وتبني الكفاح المسلح والعمل على تأسيس الجيش الفلسطيني، ويبدو أن الشقيري هنا قد بدأ يلعب بالأوراق التي اعتاد القادة العرب على اللعب بها وتشديد اللهجة لكسب التأييد والتعاطف الجماهيري لتحقيق أكبر قدر ممكن من الشرعية وخاصة في ظل وجود قيادات أخرى ذات شرعية ليست بالقليلة كالحاج أمين الحسيني والعديد من قيادات حركة القوميين العرب.

إذن لقد تبلورت أراء وأفكار الشقيري تلك في الحين الذي كان فيه "موضوع الكيان الفلسطيني ما يزال محور نقاش وجداول... وأخذ ورد، بين الدول العربية من جانب، والأردن من جانب آخر".⁴⁰

إلا أن التعنت الأردني ورفضه لكل أشكال الكيان الفلسطيني المستقل لم يلقى هذه المرة الأذان الصاغية، ولم يتمكن من منع صدور قرار مجلس الجامعة العربية ذلك والداعي إلى العمل على خلق الكيان الفلسطيني، بالرغم من تدوين الوفد الأردني رفضه قرار تشكيل الوفد الفلسطيني للأمم المتحدة، وكذلك رفضه لنص التوصية الداعية لدراسة المشروع العراقي، مطالباً باستبدالها بنص آخر هو "التأكيد على أن الشعب العربي في

³⁹ نفس المصدر.

⁴⁰ المصدر السابق، ص 489.

فلسطين (ليس الشعب الفلسطيني) هو صاحب الحق الشرعي في فلسطين، وأن تحرير فلسطين يجب أن يتم بموازرة ومشاركة الدول والشعوب العربية الشقيقة، وبعد أن يتم تحرير فلسطين من إسرائيل يقرر أهل فلسطين (ليس شعب فلسطين) مستقبلهم السياسي وفق إرادتهم ومشيئتهم⁴¹.

حيث أراد النظام الأردني من تلك التعبيرات التي طالب باستخدامها التأكيد على عدم استقلالية الشعب الفلسطيني وعلى اعتباره جزءاً من شعب المملكة الأردنية، وهو الهدف الذي سعى إليه الأردن وعملت لأجله منذ وقوع النكبة عام 1948، وبالتالي الركون إلى أن أي حل للمشكلة الفلسطينية سيكون من خلالها وبالحفاظ على مكتسباتها ومحقاً لطموحاتها، أي بما يضمن عدم وقوع مصير القضية الفلسطينية والكيان الفلسطيني المستقبلي الذي سيمثلها، بيد خصومها داخل النظام الإقليمي العربي وخصوصاً النظام المصري.

غير أن عام 1963 بعد أن حفل بالعديد من الأحداث وال مجريات التي اشرنا إليها على صعيد القضية الفلسطينية وأحداث الحرب العربية الباردة داخل النظام الإقليمي العربي، كان قد شهد تصعيداً آخر تمثل بإعلان إسرائيل عن قرب انتهاءها من إنجاز المرحلة الأولى من مشروع تحويل مجرى مياه نهر الأردن، مما أثار حفيظة الدول العربية، بالذات تلك الدول التي تمتلك حدوداً مجاورة لإسرائيل وتنتفع من مياه ذلك النهر⁴²، الأمر الذي عمل على تأجيج حدة الخلاف، حول أنجع السبل الكفيلة لمنع إسرائيل

⁴¹Moshe Shemesh, 1988, p.34.

⁴²M.E.Yapp, 1991, p.302.

من تنفيذ مشروعها ذلك فيما بين تلك الدول العربية⁴³، فقد أخذت بعض تلك الدول العربية بالتمييز بين ضخ المياه وتحويلها، حيث رأت أن إسرائيل شرعت بضخ المياه وليس بتحويلها، إلا أن حقيقة الأمر هي أنه لا فرق بين الضخ أو التحويل، إلا عند من له مآرب خاصة في تعميم هذه الفكرة وإشاعتها ليتم تبنيها والتعامل مع القضية على أساسها⁴⁴.

إن هذا المشروع المصيري بالنسبة لإسرائيل يهدف إلى رى مناطق النقب وبعث الروح والحياة فيها، وليس هذا بالأمر الخطير، حيث أن الخطورة تكمن بأن هذا المشروع يعد جزءاً من المخطط الاستعماري الإسرائيلي القائم على التوسيع الإقليمي والسكاني، إذ أن جلب الملايين من المهاجرين اليهود يتطلب توفير مستلزمات وشروط عيشهم، وإن تفاقم أعداد تلك الملايين سيؤدي إلى حالة من الاختناق السكاني، وبالتالي حل تلك المشكلة بالتوسيع الجغرافي على حساب الجيران، وكذلك الإسقاط النهائي لاحتمالية عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم بذريعة الكثافة السكانية⁴⁵.

وبالتالي فإن تنفيذ ذلك المشروع الصهيوني سيشكل عاملاً استخفاف وفقدان للصدقية وخيبة أمل للجماهير العربية بالأنظمة العربية، في ظل ما تطلقه هذه الأنظمة من وعود ووعيد، إذ اعتادت الأنظمة العربية على إطلاق العنان للتصرّيات الهدامة الرنانة في وجه شروع إسرائيل تنفيذ مشاريعها ومخططاتها، ليكون القبول بالأمر الواقع هو النتيجة النهائية لتلك التصرّيات⁴⁶.

⁴³ ماهر الشريف، 1995، ص 95.

⁴⁴ فلسطيننا، العدد 37، السنة السادسة، أيار 1964، ص 6.

⁴⁵ احمد الشقربي : رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، مذكرة إلى مؤتمر القمة الأفريقي في أديس أبابا ، تشرين الثاني 1966، ص 8.

⁴⁶ فلسطيننا، العدد 37، السنة السادسة، أيار 1964، ص 7.

وبما أن الرئيس جمال عبد الناصر قد جعل من القضية الفلسطينية القضية الفلسطينية في فكره و سياسته القومية العربية، واعتبار نفسه المدافع الأول عن الفلسطينيين وحقوقهم، فلم يكن بمقدوره البقاء طويلاً ملتزماً الصمت أو سلبي الموقف، وتعريض مكانته وزعامته للتراجع أو التشكيك⁴⁷، فكان قضية المياه تلك وال المتعلقة بالمشاريع الإسرائيلية بمثابة طوق النجاة الذي سيعيده إلى مركز القمة والصدارة في الوطن العربي، وتعزيز ما اشتهر به من أنه رجل المبادرات، وكذلك العمل على تقويض التأزم الحاد الذي أصاب العلاقات العربية المشتركة وأدخلها في دوامة الخلافات والصراعات⁴⁸.

وكان على الساحة العراقية في الفترة ذاتها - وتحديداً في شهر تشرين ثاني من نفس العام - أن تشهد تغيراً جديداً آخر، فقد قام عبد السلام عارف بالتعاون مع عدد من ضباط الجيش بانقلاب، أسقطوا على إثره ائتلاف البعث الحاكم، ليتولى عارف رئاسة نظام الحكم، وليبادر مباشرةً بالإعلان عن التمسك باتفاقية الوحدة مع مصر⁴⁹.

لتجد سوريا نفسها بذلك، وقد تعاظمت عزلتها وأخذت مكانتها على مستوى الساحة العربية بالتراجع أكثر فأكثر ، فكان لزاماً عليها خوض النزال من أجل البقاء السياسي، فلجمأت بطبيعة الحال، وكما اعتاد عناصر النظام الإقليمي العربي إلى التشدد والتشديد بشأن القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي، للخروج من مأزق العزلة ذلك، ولإحراج النظام المصري وإضعافه⁵⁰ باتهامه بتبني سياسة تهدف إلى احتواء

⁴⁷ Clinton Bailey, 1984, p.22 .

⁴⁹ Uriel Dann, 1989, p.136.

⁵⁰ Malcolm Kerr, 1971, p.113.

⁴⁸ فواز جرجس، 1997 ، ص225

إسرائيل وليس تحرير فلسطين، وبالتالي أقر مؤتمر القيادة القومية السادس لحزب البعث في سوريا، والذي واكب انعقاده انقلاب عبد السلام عارف في العراق، "ضرورة اعتماد عرب فلسطين كأداة أولى في تحرير فلسطين" وقد أقر كذلك فكرة إنشاء "جبهة تحرير فلسطين" داعياً الدول العربية لمد يد العون لهذا الهدف، وإخراج فلسطين من حلة المنافسات والخلافات العربية.⁵¹

وهناك وعلى الضفة الأخرى لشاطئ الانقسامات العربية، شهد معسكر المحافظين في ذلك الشهر العصيب (تشرين الثاني) من تاريخ النظام الإقليمي العربي، تغيراً لم يكن ليقل أهمية عن تلك التغيرات والأحداث داخل معسكر الثوريين، حيث كان ذلك في السعودية فقد قام الأمير فيصل ولي العهد، الأخ الأصغر للملك سعود، بعزل أخيه الملك من منصبه، من خلال الاتفاق الذي تم داخل العائلة المالكة، بناءً على سياسات سعود العربية وسلوكياته بالذات فيما يتعلق الإنفاق المالي، حيث تم ذلك بهدوء ودون اللجوء إلى العنف أو القوة.⁵²

وبهذا يتضح أن انشغال الأنظمة العربية بخلافاتها ومشاكلها الداخلية كان سهماً زال - يستنزف الإمكانيات والطاقات العربية في ذلك التناقض والتناحر البيني لعلاقات الأنظمة العربية المتبادلة، بدلاً من أن تسخر تلك الإمكانيات والطاقات في خدمة القضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل.⁵³

⁵¹ نضال حزب البعث الاشتراكي عبر مؤتمراته القومية، 1972، ص 101 و ص 167.

⁵² هنري لورنس، 1992، ص 206-208.

⁵³ Rosemary Sayigh, 1979, p.102.

إذن بانتهاء عام 1963 كانت الأفق تلوح بخطر يهدد النظام الإقليمي العربي ببناءً على تلك التوترات الداخلية والتصعيد المتزايد في الصراع العربي-الإسرائيلي، فكانت الأحداث التي شهدتها هذا العام وما سبقه من أعوام كفيلة لخلق الظروف المناسبة لتنظيم الحركة الوطنية الفلسطينية⁵⁴، وكانت الدعوة لتأسيس الكيان الفلسطيني تحفزها الإرادة الفلسطينية أخذة في التصاعد تحت تأثير نجاح الثورة الجزائرية في الاستقلال في نفس العام⁵⁵، لسد الفراغ الذي يعترى الشعب الفلسطيني بضعف قيادته الوطنية المستقلة، والتي سيناط بها مهام تولي زمام الأمور لذلك الكيان الوطني، للعمل على تحرير الوطن واسترداد الحقوق، وهو الأمر الذي لا يعني التفكير للوحدة العربية، لأن العمل على التحرير سيكون من مسؤولية الدول العربية بالمشاركة الفاعلة والأساسية لأبناء الشعب الفلسطيني⁵⁶.

ومن ناحية أخرى فقد كان تنامي الإرادة العربية لبلورة ذلك الكيان الفلسطيني، لاحتواء تلك الإرادة الفلسطينية من جهة، ولبدء تيقن الأنظمة العربية من عدم خدمة المزایدات والمضاربات على القضية الفلسطينية لأهدافهم ومصالحهم من جهة أخرى، ذو إسهام حاسم لبروز ذلك الكيان ونشوءه⁵⁷. وبالمجمل، ساهم الرئيس عبد الناصر في تأسيس كيان فلسطيني سياسي، وذلك بعد أن دعا إلى مؤتمر عربي جمع القادة والزعماء العرب حول مائنته.

⁵⁴Moshe Shemesh, 1988, p.30.

⁵⁵فيصل الموراني، عبد الناصر و القضية الفلسطينية ، 1987، ص ص26-27.

⁵⁶جريدة فاسية، 1987، ص 282.

⁵⁷أمبل توما، 1986، ص 115.

المبحث الثاني

تجسيد الكيان بين القمم العربية وصراع الإرادات

مؤتمر القمة العربية الأول: 13-16 كانون الثاني 1964

جاءت الدعوة إلى هذه القمة، التي اعتبرت الأولى من نوعها على مستوى الدبلوماسية العربية في ذلك العهد، منذ الاستقلال الفتى لتلك الدول العربية، في الخطاب الذي ألقاه الرئيس المصري جمال عبد الناصر بتاريخ 23/11/1963، في مدينة بور سعيد⁵⁸، متوجهاً من خلال خطابه ذلك بطلب من الرؤساء والملوك العرب تلبية دعوة إلى عقد مؤتمر عربي يجتمعون فيه لتدارس آخر المستجدات والتطورات بخصوص الصراع العربي - الإسرائيلي والقضية الفلسطينية⁵⁹، أي تحديداً مشاريع إسرائيل لتحويل مجرى مياه نهر الأردن من جانب، ومن الجانب الآخر اتخاذ القرار المناسب لابراز الكيان الفلسطيني - تماشياً مع الرغبة الفلسطينية المتصاعدة -، حيث قامت وزارة الخارجية المصرية بعد ذلك الخطاب بعده أيام بتوجيه الدعوة رسمياً، من خلال مذكرة قامت بإرسالها إلى الدول العربية عبر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية⁶⁰.

⁵⁸ فضل الحوراني، الفكر السياسي الفلسطيني ، 1980، ص 24.

⁵⁹ كلمات على طريق التحرير ، مجموعة من أهم الخطاب والرسائل والبيانات التي وجهها السيد أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى جماهير

. الشعب الفلسطيني والأمة العربية، كلمة منتصف أيار 1965 على مدرج جامعة القاهرة، ص 19 - 20 .

⁶⁰ فضل الحوراني، الفكر السياسي الفلسطيني ، 1980، ص 24.

أنعقد المؤتمر في الفترة الواقعة ما بين 13 و 16 من شهر كانون الثاني من العام 1964، بمشاركة وحضور ثلاثة عشر دولة عربية ممثلة بملوكها ورؤسائها⁶¹، في العاصمة المصرية القاهرة، يضاف إلى أولئك الحضور رفيعي القدر والشأن، السيد احمد الشقيري بصفته ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية، بالرغم من أن عدد من الدول العربية وزعاماتها عارضت وجوده داخل المؤتمر، بكونه مخصصاً للملوك والرؤساء⁶².

ودون الخوض في مجريات تلك القمة الأولى وتفاصيل أحداثها، فقد خرج المؤتمرون - القادة العرب - بعدة قرارات كان من أهمها:

- » تأسيس "هيئة الروافد" لتنفيذ المشروع العربي لتحويل روافد نهر الأردن⁶³.
- » تأسيس "قيادة عربية موحدة" لتنسيق الخطط العسكرية العربية⁶⁴.
- » العمل على تنظيم الشعب الفلسطيني للقيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير المصير.

كما خرج البيان الخاتمي المشترك لأعضاء المؤتمر بما نصه "إن مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية قياماً بواجب الدفاع المشترك وإيماناً بحق الشعب العربي

⁶¹ صلاح الدين شكري، فلسطين و مؤتمر القمة العربي ، (دمشق: مكتب الصحافة للشرق العربي، 1964) ص.4. كذلك انظر: احمد الشقيري، من القمة إلى المجزعة، مصدر سبق ذكره، ص.5.

⁶² خيرية قاسية، 1987، ص.283.

⁶³ Jamal R Nassar, The Palestinian Liberation Organization “From Armed Struggle to the Declaration Independent” , New York, 1991. p.19.

⁶⁴ Abdallah Frangi, The P.L.O and Palestine , Translated by Paul Knight, Zed Books Ltd, London, 1983. p.99.

⁶⁵ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الخامس، دراسات القضية الفلسطينية، (بيروت: ط.1، 1990) ص.943

الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره، وتحرير وطنه من الاستعمار الصهيوني فقد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني الماثل سواء في الميدان الداعي أو الميدان الفني أو ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره⁶⁵.

وبهذه التوصية تكون الخطوة الأولى العملية في تاريخ القضية الفلسطينية على مستوى قرارات النظام الإقليمي العربي بخصوص الكيان الفلسطيني، قد وضعت على المحك لإثبات مدى المصداقية في النوايا نحو التنفيذ وذلك بالرغم من التساؤلات الكثيرة حول الأهداف والمصالح الخاصة لأعضاء النظام الإقليمي العربي، وكيفية خدمة هذا العمل في حربهم الباردة.

ولتكون الصورة أكثر وضوحاً فقد تضمن ذلك البيان الختامي الطلب من السيد أحمد الشقيري "الاستمرار في اتصالاته بالدول العربية والشعب الفلسطيني بنية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره⁶⁶".

وبالتالي فقد كان ذلك القرار الذي اتخذه الملوك والرؤساء بشأن شعب فلسطين وقضيته، لا يحمل بين ثناياه مصطلح "كيان" أو أي إشارة مباشرة له، وقد كان ذلك نابعاً من رفض الملك حسين لمثل هذا الأمر⁶⁷، من خلال توجه النظام الأردني التاريخي من بدء بزوج أفق القضية الفلسطينية بتوجيهه نحو السيطرة على ما يمكن من أرض فلسطين

⁶⁵ المصدر السابق، ص 179.

⁶⁶ أحمد الشقيري، من القمة إلى الفزع، 1971، ص 50.

⁶⁷ Jamal R Nassar, 1991, p.19.

وتمكنه من ذلك بعد عملية الضم التي قام بها عام 1949 وكذلك رفض أي مشاريع تمس بسيادته وسيطرته على تلك الأراضي التي استطاع ضمها⁶⁸، وفي حقيقة الأمر كذلك حتى أولئك الرؤساء الذين لم يكن لديهم ممانعة من نشوء كيان فلسطيني، فإنهم لم يكن لديهم تصور واضح عن طبيعة ذلك الكيان أو شكله، بالإضافة إلى الاختلافات والبيانات في الترواحات بقصد ذلك الكيان، فقد طالب الملك سعود (ملك السعودية السابق) بقيام حكومة فلسطينية، في حين طالب أمين الحافظ الرئيس السوري بامتلاك الكيان المزعزع أقامته للسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة⁶⁹، وذهب آخرون أمثال أحمد بن بلا الرئيس الجزائري والحبير بورقيبة الرئيس التونسي إلى ضرورة تأسيس جبهة تحرير وطنية⁷⁰، بينما عاد الوفد العراقي للتاكيد على مذكرته لمجلس الجامعة العربية في دورته الأربعين وما تضمنته من ترواحات للكيان الفلسطيني بشكله ومضمونه.

وبناءً على تلك الخلافات في الترواحات ووجهات النظر، وتبني المعارضة في وجهات نظر أخرى، فقد فضل المؤتمرون عدم ذكر كيان فلسطين أو الإشارة إليه في بيانهم الختامي، وذلك للتمكن ولو في أقل حد ممكن للخروج بنص القرار وتفادي المعارضة التي قد تعيق أو تعطل إصداره، إلا أن الشقيري وفي معرض رده على تلك المناقشات والخلافات، فقد أوضح وجهة النظر الفلسطينية بأن قال: "نحن لسنا طلاب حكم، نحن طلاب تحرير"⁷¹، ولعل الشقيري أراد هنا إظهار مدى تعلق الفلسطينيين بما هو

⁶⁸ Laurie A Brand, 1988, pp.25-26

⁶⁹ Bahgat Korany & Ali E. Hillal Dessouki, The Foreign Policies of Arab States ; The Challenge of Change . p. 262.

⁷⁰ عيسى الشعبي، 1979، ص 100.

⁷¹ أحمد الشقيري، من القمة إلى المزيمة ، 1971، ص 46

مبني ووطني أكثر من الأمور الشكلية، وقصد بذلك أن الكيان ما هو إلا وسيلة وليس غاية، كما أضاف قائلاً: "أريد أن يكون واضحاً، أن الكيان الفلسطيني ليس حكومة ولا يمارس سيادة، ولا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية عن الكيان الأردني، وإنما هو تنظيم للشعب الفلسطيني يتعاون مع جميع الدول العربية"⁷²، وما قصد به الشقيري من ذلك هو الرد على معارضة الملك حسين لمشروع الكيان الفلسطيني، لطمئن الأخير بأن الكيان الفلسطيني لن يمس سيادة الأردن على الضفة الغربية أو سيقوم بفصلها عنها وذلك لتفادي وقوفه في مساعي إنشاء الكيان الفلسطيني من خلال تشكيل جبهة معارضة ورفض داخل النظام الإقليمي العربي تمنع قيام الكيان الفلسطيني، أو أي قرار بهذا الشأن، بالإضافة إلى سعي الشقيري للرد على التروّحات العربية الأخرى - كالطرح السعودي - الهدافـة لـإقامة حكومة فلسطينية أو ما يمكن تسميته بـدولـة فلسطينـية.

غير أن واقع الحال خارج أروقة المؤتمر وطبيعة الحياة السياسية الفلسطينية التي كانت قائمة، حالت دون أن يكون هذا القرار كغيره من القرارات التي صدرت عن الجامعة العربية ومؤسساتها ولجانها منذ نكبة فلسطين عام 1948، فقد تمازجت توجهات الرئيس عبد الناصر⁷³ الهدافـة لـدفع السياسـة العـربـية بـاتجـاه إـنشـاء كـيان فـلـسـطـينـي - مثل بنظرـه سلاحـ سيـاسيـ فيـ مواجهـة إـسرـائيلـ وكـذـلكـ رـديـفـ فـعالـ لهـ فيـ مـعرـكـتهـ التـنـافـسـيةـ ضدـ

⁷³ Charles Smith, 1992, p. 186.

⁷² المصدر السابق ، ص 46

الأنظمة العربية وزعامتها - مع واقع الحالة السياسية الفاسطينية ونزعها لثبيت

شخصيتها وكيانها المستقل⁷⁴.

جولات الشقيري التحضيرية

إذن بانتهاء أعمال مؤتمر القمة الأول، وبتصور التوصية التي تضمنها البيان الختامي، انطلق الشقيري يحمل على كاهليه عبء الشروع في حسم جهود ومساعي الشعب الفلسطيني للارتفاع بقضيته والخروج بكيان مستقل معبر عن شخصيته فبدأ باستئناف جولاته في مناطق تجمعات الفلسطينيين في البلدان العربية وفي كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، تلك الجولات التي كان قد شرع بها منذ توليه منصب ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية وعملة على تشكيل وفد إلى الأمم المتحدة، وذلك بعد أن أصبح لديه التكليف الرسمي للقيام بتلك الجولات والمساعي، بالرغم من كون ذلك القرار والتوصية ضعيف وغير فاصل لإنشاء الكيان الفلسطيني، وأوضح الشقيري هذا الوضع بقوله: "قد رضيت ... بهذه الصيغة الهزيلة لأنني كنت أريد أن أضع قدمي على أول الطريق، وإن يبرز الكيان الفلسطيني كأمر واقع ثم ينمو ويكبر بصورة ذاتية".⁷⁵

ومن خلال زياراته وتحركاته قام الشقيري بالارتفاع بغالبية أقطاب جماهير الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وكذلك في كل من الأردن، سوريا، العراق، مصر والعديد من دول الخليج العربي، وكذلك بالأنظمة الحاكمة لتلك الدول، ليواجه خلال

⁷⁴Cheryl Rubenberg, The Palestine Liberation Organization : Its Institutional Infrastructure, the Institute of Arab Studies, Belmont, 1983. p.6.

⁷⁵أحمد الشقيري، من القمة إلى المفرزة ، 1971، ص.50.

نشاطه هذا مختلف أنماط التفاعل وردات الفعل المتباينة والتي تراوحت من مؤيد إلى معارض.

وهكذا كان قرار الشقيري تجاوز قرار التنسيق والاتصال، والعمل على الإنشاء والتأسيس لذلك الكيان المنشود، فأعد خلال جولاته مسودة الميثاق القومي الفلسطيني وكذلك النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية والتي ستخرج على هيئة الكيان الفلسطيني⁷⁶، كما قام باختيار أعضاء اللجان التحضيرية لعقد مؤتمر وطني يتم الإعلان فيه عن تأسيس المنظمة، وقامت تلك اللجان بإعداد قوائم بأسماء المرشحين لحضور هذا المؤتمر الذي سيعقد في مدينة القدس، وأيضاً قام الشقيري باختيار وتعيين لجنة التنسيق للمؤتمر⁷⁷.

وفي خضم هذه الجهود التي بذلها الشقيري لعقد ذلك المؤتمر وتأسيس ذلك الكيان واجه العديد من المواقف والمفاوضات، التي كان بعضها يسعى لتعطيل تلك المسيرة التي كان الشقيري قد بدأ بها، ومنها مواقف النظام الأردني بشخص ملكه الحسين، فقد رفض أي شكل من أشكال الكيانية الفلسطينية، على غرار ما تم اتخاذه من مواقف منذ أحداث النكبة، وبسبب الضغوط التي تعرض لها الحسين بهذا الصدد، وطبيعة الظروف والأحوال السياسية لتلك الفترة، أبدى الحسين نوعاً ما من تخفيف حدة التعنت فأوضح قائلاً: "الكيان هو أرصدة للشعب الفلسطيني وحشد قواته... وهو سلاح تمتلكه الدول العربية... وتفتح به السبيل إلى الأمل!!... ولن يمس الكيان في لحظة من اللحظات وحدة

⁷⁶ خبرية قاسمية، 1987، ص.284.

⁷⁷ مهدي عبد الهادي، المسألة الفلسطينية : مشاريع الحلول السياسية 1934 - 1974 ، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ط.2، 1992)

ص.228

أسرتنا الأردنية الواحدة بسوء قليل أو كثير، وإنما هو على العكس من ذلك سيقود تلك الوحدة ويعمقها ويضاعف من قدرتها على النمو والانطلاق... فالأردن بصفته هو قاعدة الانطلاق لتحرير الوطن المغتصب⁷⁸" وبهذا يكون الملك حسين قد حدد موقفه من نشوء كيان فلسطيني بعدم انتزاع هذا الكيان السيطرة الأردنية على الضفة الغربية أو المساس بها. بتأكيده على أن الشعب الفلسطيني هو جزء من الشعب الأردني ويقع تحت سيادته ومن جانب آخر فقد كان هذا التصريح هو تأكيد آخر على تبني القادة العرب للقاعدة التي تعتبر القضية الفلسطينية هي الأكثر تأثيراً على عواطف وأراء وتوجهات الجماهير الشعبية، فحاول إبراز نفسه ودولته في مكانة المناضل الأول عن القضية الفلسطينية والساعي الأول لتجسيد كيان فلسطين.

ولخلق الأجواء المناسبة ولتسهيل المشاورات مع الحسين، سعياً لتحقيق هدف إنشاء الكيان، حدد الشقيري موقفه من ذلك بقوله: "لن يأخذ الكيان الفلسطيني شكل حكومة ولن يمارس سيادة إقليمية على الضفة الغربية أو قطاع غزة، ولن يتعارض قيامه مع وحدة الكيان الأردني، بل سيتعاون معه تعاوناً وثيقاً" كما أضاف قائلاً: "إن سبب عدم إنشاء حكومة فلسطينية يعود إلى أن الشعب الفلسطيني لا يجري وراء المناصب والمراتب، هذا من ناحية، ولأن الأمم المتحدة لا يمكن أن تعترف بهذه الحكومة إلا إذا قبلنا التقسيم من ناحية ثانية، وهو ما يرفضه الشعب الفلسطيني والأمة

⁷⁸ أميل توما، 1986، ص125.

العربية⁷⁹، وهو الأمر الذي أراد منه الشقيري الرد على الطروحات السعودية بإقامة حكومة فلسطينية، إضافة إلى ما أراد به من طمأنة للحكم الهاشمي الأردني.

ومن خلال قناعة الشقيري وتلقيه نصيحة من الرئيس عبد الناصر، أصر على حضور الملك حسين للمؤتمر الوطني الفلسطيني، وإعلان موافقته وتأييده لقيام المنظمة الفلسطينية، وقد كان ذلك بسبب خضوع الضفة الغربية للسيادة الأردنية وتواجد عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين داخل الأردن، وبالتالي فقد كان الأردن قادر على تعطيل قيام الكيان الفلسطيني بمنع ممارسة أي نشاط في هذا الخصوص ضمن حدود سيادته، وكذلك فقد كانت ضرورة إقامة المؤتمر الوطني والكيان الفلسطيني على الأرض الفلسطينية وليس في مكان آخر يستلزم سماح الأردن بإجراء مثل هذا الحدث داخل المناطق التي تخضع لسيطرته، حيث كانت القدس هي المدينة التي سيقوم فيها المؤتمر الوطني الفلسطيني والكيان الفلسطيني، لإضفاء الشرعية عليهما وكسب الإجماع العربي، فسعى الشقيري للقاء الحسين ومفاوضته على أهدافه تلك، واستعان على ذلك بمساعدة أحد أركان النظام الأردني، المقربين إلى النظام المصري، بهجت التلهوني (تولى منصب رئيس الوزراء الأردني)، الذي عمل على تهيئة فرصة اللقاء، التي تمت في مدينة العقبة الأردنية، قبل المؤتمر بفترة قصيرة، وتوصل الطرفين إلى اتفاق متبادل، وافق على أثره الحسين على رعاية المؤتمر الفلسطيني، في حين الذي وافق فيه الشقيري على الشرطين اللذان أصر الحسين عليهما وهما: أولاً أن لا يطالب الكيان المزعوم إنشاءه بالسيادة على

⁷⁹ أحمد الشقيري، من القمة إلى المفرزة ، 1971، ص 46 - 50.

الضفة الغربية، وثانياً عدم العمل على تسليم الفلسطينيين في الأردن والضفة الغربية⁸⁰، وهو ما وافق عليه الشقيري وكان للحسين ما طلب. حيث أن الحسين بالإضافة إلى عدم قبوله فكرة التنازل عن ما تم حقيقه من مكاسب وفرض سيطرة بضم الضفة الغربية لحكمه، فقد كان يهدف لعدم خروج الفئة التي تمثل أغلبية الفلسطينيين من تحت سيطرته لئلا تحالف مع غيره من عناصر النظام الإقليمي العربي كالنظام المصري فتعزز موقف الطرف الأخير في مواجهته، وكذلك تخوفه من سلوكيات الفلسطينيين اتجاه إسرائيل مما يعود بعمل انتقامي إسرائيلي اتجاه الأردن.

وبذلك يكون الشقيري منذ البدء بتشكيل وفده إلى الأمم المتحدة إلى إعداده لعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني قد عمل على مجازاة الحكام العرب وارضائهم لتحقيق مآربه، فكتب في ذلك يقول: "كان استرضاء الحكومات العربية أمراً لا مفر منه في تلك المرحلة"⁸¹. وهذا بحد ذاته لا يعني أن الشقيري قد أنجز كل شيء بمهاراته وقدراته الخاصة إلا أن المقصود هنا أنه قد بذل كل ما في وسعه من جهد.

أما على مستوى القطاعات والتنظيمات الفلسطينية المختلفة فقد تبانت المواقف والطروحات بقصد الدعوة للمؤتمر الوطني وتأسيس الكيان، فقد وجه الشقيري الدعوة للهيئة العربية العليا للحضور والمشاركة بذلك الحدث التاريخي، إلا أن طلبه هذا قد رفض، بناءً على اعتبار الحاج أمين الحسيني تكليف الشقيري تجاهل وتحدي لزعامته

⁸⁰ فيصل الحوراني، الفكر السياسي الفلسطيني، 1980، ص.30.

⁸¹ أحمد الشقيري، من القمة إلى المفرزة، 1971، ص.46.

التاريخية للحركة الفلسطينية⁸². ورؤيته لعدم ضرورة قيام كيان جديد بوجود الهيئة العربية العليا، إلا أن الحاج أمين لم يكن ليقدر على إحداث تغيير أو تأثير، فقد خسر مكانته وإمكانياته وساعت علاقاته بمعظم الأنظمة العربية بالذات تلك التي تمتلك تأثير وفعالية على القضية الفلسطينية كالنظمتين المصري والعربي، إلا أنه حاول إستمالة النظمتين السعودية والأردنية للوقوف إلى جانبه من خلال تركيزه على معارضة السعودية لشخص الشقيري وكذلك الضغط على الأردن بورقة امكانية تهديد الكيان الفلسطيني لوحدة الكيان الأردني⁸³.

وعلى الجانب الآخر، فقد عرض عدد من قيادات حركة فتح، من خلال لقاءهم بالشقيري أثناء جولاته وتحضيراته للمؤتمر الوطني، الاتفاق على تنسيق وتعاون سري بين الكيان والحركة، ليكون الكيان الواجهة الشرعية للكفاح المسلح ويكون مدعماً بالقاعدة الجماهيرية الفعالة لاستمراره وبقائه⁸⁴، أي أن تمثل فتح الذراع العسكري للمنظمة كون أن جيش التحرير الفلسطيني الذي سيتبين عن المنظمة سيخضع لرقابة الأنظمة العربية، في حين الذي يقوم فيه الشقيري بتعيين بعض عناصر الحركة في اللجنة التنفيذية للمنظمة لتأمين الاتصال بين المنظمة والحركة، إلا أن الشقيري رفض مثل هذا العرض، معللاً رفضه ذلك بعدم قدرته على عقد مثل هذا التحالف، بحكم طبيعة وظائفه وعلاقاته مع الأنظمة العربية وواجبه في عدم الأضرار باستراتيجية الجامعة العربية⁸⁵.

⁸² Helena Cobban, The Palestinian Liberation Organization, Cambridge Uni Press, London, 1984. p. 29.

⁸⁴ Ibid, P. 30

⁸³ احمد الشقيري، من القمة إلى المزعنة ، 1971، ص 28

⁸⁵ أريج رولو، 1980 ص 77 - 78

أما بالنسبة للفلسطينيين المنضوين ضمن إطار حزب البعث، فقد تحفظوا على توجهات الشقيري تلك، داعين إلى أن يكون الكيان مبنياً على أساس ثورية موفراً الشروط الأساسية الثلاث وهي الأرض، الشعب والسلطة، ومتمنعاً بممارسة السيادة على المناطق الحرة من أرض فلسطين، أي أن لا يكون الكيان ثورياً بالاصطلاح اللفظي فقط.⁸⁶

أما بالنسبة لحركة القوميين العرب والتي كانت ترتبط بعلاقات وثيقة بالرئيس عبد الناصر، فقد أيدت فكرة ومشروع الكيان الفلسطيني مع تأكيدها على ضرورة إقامة انتخابات حرة مباشرة وان يكون الكيان ذو مضمون ثوري وأن يكون هو صاحب حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وتمثيله ويكون هدف الكيان الرئيسي هو تحرير الوطن وإستعادة الأرض⁸⁷.

وكان في نهاية المطاف أن استطاع الشقيري بجهود جباره انتزاع الإجماع العربي والفلسطيني - إن جاز التعبير - على عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني وتأسيس الكيان المستقل.

المؤتمر الوطني الفلسطيني وانطلاقه منظمة التحرير الفلسطينية

يقتضي التدوين قبل الخوض في تفاصيل انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، إلا أن الفضل الأكبر في تحقيق هذا الإنجاز التاريخي

⁸⁶Jamal R Nassar, 1991, p.20.

⁸⁷ محمد جمال باروت، 1997، ص 301-302

في مسار القضية الفلسطينية، يعود إلى السيد أحمد الشقيري⁸⁸ وما بذله من جهد وأرق حقيقيان لتحقيق الحلم الوطني المنشود، فقد كان القرار الشخصي للشقيري تجاوز توصيات مقررات مؤتمر القمة العربية الأول، إذ أنه لو تقييد بحرفية القرار لما قامت المنظمة في ذلك العام حيث أنه عمل على وضع الأنظمة العربية بقياداتها أمام الأمر الواقع بعقد ذلك المؤتمر الوطني⁸⁹ وما أفرزه من نتائج كان من أهمها نشوء الكيان الفلسطيني.

انعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني في مدينة القدس في الفترة الواقعة ما بين 28 أيار و 2 حزيران من عام 1964، وتحديداً في فندق الانتركونتنental⁹⁰، وقد حضر هذا المؤتمر بالإضافة إلى الشقيري وقراية الأربع مائة عضو فلسطيني كمندوبين للمؤتمر، الملك حسين والسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية، وكذلك مشاركة ممثلي عن معظم حكومات الدول العربية⁹¹.

وفي خضم مجريات أحداث المؤتمر، كان قد تخلله أربع جلسات، كانت الجلسة الأولى فيه مخصصة لافتتاح المؤتمر، حيث ألقى الملك حسين وعبد الخالق حسونة وأحمد الشقيري كلاً منهم خطاباً افتتاحياً للمؤتمر، في الحين الذي جرت فيه المداولات والمناقشات في الجلسات الثلاث الباقية⁹².

وفي نهاية المطاف خرج المؤتمر بعدة قرارات سياسية وعسكرية ومالية

وإعلامية، كان من أهمها:

⁸⁸ اسعد عبد الرحمن، 1987، ص 69.

⁸⁹ بجريدة قاسمية، 1987، ص 284.

⁹⁰ مهدي عبد الهادي، 1992، ص 232.

⁹¹ ماهر الشريف، 1995، ص 102.

⁹² مهدي عبد الهادي، 1992، ص 232-238.

- » إعلان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية.
- » المصادقة على الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية.
- » انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية للمنظمة.
- » اعتبار أعضاء المؤتمر هم المجلس الوطني الفلسطيني الأول والمصادقة على اللائحة الداخلية الخاصة بهذا المجلس.
- » العزم على تشكيل جيش التحرير الفلسطيني.
- » إنشاء الصندوق القومي الفلسطيني والمصادقة على نظامه الأساسي.
- » إنشاء محطة إذاعة خاصة تطلق باسم فلسطين⁹³.

وبهذا فقد مثلت هذه القرارات التي خرجت عن المؤتمر الفلسطيني الأول المنطلق الذي تم من خلاله نشوء وتجسيد الكيان الفلسطيني الممثل للشخصية الفلسطينية، حيث كانت مثل تلك الأجهزة التي اتفق على تأسيسها مبدئياً كفيلة بأقل تقدير لاستمرارية الكيان وبقائه ومتناهٍ نوعاً ما قابلية لتطوير الكيان والارتفاع به إلى مستوى المطالب والطموحات الفلسطينية وخصوصاً المجلس الوطني الفلسطيني الذي سيصبح الانتخاب هو القاعدة الأساسية في السنوات الأولى القليلة من عمر الكيان.

⁹³ كلمات على طريق التحرير ، رسالة إلى مؤتمر منظمة الطلاب العرب الرابع عشر في الولايات المتحدة في جامعة البيوبي، 1965، ص34. كذلك انظر: مهدي عبد الحادي، 1992، ص 233 - 239.

ولاعطاء الطابع الدولي للمنظمة والمؤتمري، قام الشقيري في ختام أعمال المؤتمري بإرسال برقية إلى الأمين العام للأمم المتحدة يطلعه فيها بانعقاد المؤتمري الفلسطيني وإعلان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية⁹⁴.

وبذلك أصبح الكيان شيء واقع وملموس، ولكن هل كان جميع الأطراف المعنيين بالأمر راضين عن كل ما حصل؟؟

لقد أخذ على الشقيري تنازله الصريح عن السيادة على الأرض والشعب بالذات من قبل البعثيين، ولكن بغض النظر عن المبررات المعلنة والمصرح بها، فقد كان الهدف الأساسي من وراء ذلك هو انتزاع الموافقة والتأييد العربي بمجمل أشخاصه على قيام ذلك الكيان الذي تمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية⁹⁵.

وعلى الجانب الآخر فقد كان معظم أولئك الأعضاء المندوبون الفلسطينيون الذين حضروا المؤتمري معينين تعيناً مباشراً من قبل الشقيري نفسه⁹⁶، يضاف إليهم قائمة الأسماء لفلسطيني الأردن التي ضمت ما يقارب 212 عضواً والتي قامت الحكومة الأردنية بفرضها على الشقيري في المراحل الأخيرة من الاستعداد لعقد المؤتمري الفلسطيني، والذين كانوا بغالبيتهم من النواب والأعيان وموظفي الوزارات في الحكومة الأردنية⁹⁷، إذ وصف أولئك الأعضاء بالمؤتمري بأنهم "الأعيان والنواب والوزراء والنواب والأعيان السابقون، ورؤساء البلديات وال المجالس القروية في المملكة الأردنية الهاشمية،

⁹⁴ مهدي عبد الحادي، 1992، ص.238.

⁹⁵ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، ص.40.

⁹⁶ Abdallah Frangi, 1983, p.99.

⁹⁷ اسعد عبد الرحمن، 1987، ص.75.

ورجال الدين والمحامون والأطباء والصيادلة والمهندسو وأساتذة الجامعات، وأعضاء المجلس التشريعي في قطاع غزة، ورؤساء الغرف التجارية والتجار المقربون، وممثلو الهيئات النسائية والعائدون المقيمون في المخيمات وشيوخ عرب بئر السبع، والنقباء وممثلو اتحادات نقابات العمال والمزارعين ورؤساء مجالس الشركات، وموظفو المصارف وخلافهم⁹⁸.

ويظهر بكل وضوح من سياق النص أن هؤلاء الأعضاء الذين انتدبتهم الحكومة الأردنية للمشاركة بالمؤتمر هم من المقربين للحكومة وذوي النفوذ فيها والذين هم بالأساس يمتون لها بصلة الولاء والمصالح المتبادلة ويمثلون بمعظمهم الفئة البرجوازية من طبقات الشعب والتي لا تتصل بشكل مباشر بمعاناة عامة أبناء الشعب وهمومهم، وكذلك فهذه الفئة لم تكن تحمل وتشترك مناضلي الشعب الفلسطيني ومشريه حلمهم وطموحاتهم من ذلك الكيان وضرورته والأهداف المرجوة منه.

وبذلك جاء المؤتمر ليضم أغلبية ساحقة من ممثلي الفئات العليا من الفلسطينيين ومن بعض ممثلي الفئات الوسطى، في حين الذي لم يضم وفد لبنان الذي شارك في المؤتمر عضواً واحداً من سكان المخيمات⁹⁹، كما أن مشاركة حركة فتح قد اقتصرت على أربعة عناصر من كوادرها هم خليل الوزير (أبو جهاد)، كمال عدوان، محمد النجار وخالد الحسن وبعض المؤيدين والمناصرين لها من خارج كوادرها، حيث أن حركة فتح رأت أنه من الضروري عدم الانقطاع عن الحياة السياسية الفلسطينية وبالتالي ضرورة

⁹⁸ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، ص38.

⁹⁹ المصدر السابق، ص37.

التواصل مع كل ما يمثل مركز قوة وتأثير على مسار القضية الوطنية، كما أن الحركة وجدت في المنظمة الجديدة واجهة للنشاطات السرية التي تقوم بها، وبالتالي فقد استثمرت الحركة مشاركتها في المؤتمر الوطني الفلسطيني للدفاع عن طروحاتها وأفكارها بالأخص استراتيجية الكفاح المسلح¹⁰⁰. وقد جاءت مشاركة فتح تلك انطلاقاً من تبني فكرة ضرورة التسرب إلى داخل المنظمة الفلسطينية الغنية والقوية للاستفادة من تلك الامتيازات التي تتمتع بها¹⁰¹.

بالمحصلة فقد ضم ذلك المجلس الوطني الفلسطيني الأول الذي شكل من الأعضاء المشاركون بالمؤتمر الوطني أربعة كتل رئيسية¹⁰² بداخله، هم :

- « فريق الشقيري من قوميين وناصريين وشخصيات سياسية واجتماعية غير حزبية.
- « كتلة فلسطيني الأردن، وقد أشرنا إليهم سابقاً.
- « البعضين والذين مثلوا كتلة صغيرة نسبياً بناءً على عاملين هما: أولاً وقف الأردن بوجه مشاركتهم من خلال منعهم من اجتياز الحدود الأردنية والوصول إلى المؤتمر، وثانياً سعي الشقيري بحد ذاته لتفليس دورهم.
- « فئة ضئيلة من معتلي المنظمات والحركات الفلسطينية الجديدة.

¹⁰⁰ Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State, 1997, pp.100-102

¹⁰¹ أريك رولو، فلسطين بلا هوية : أبو أياد "صلاح خلف" ، مصدر سبق ذكره، ص ص 78 - 79 .

¹⁰² ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، مصدر سبق ذكره، ص 36 .

- وفي حقيقة الأمر فإن عوامل عدة¹⁰³ قد لعبت دوراً أساسياً في تكوين ذلك المجلس، من أهمها :
- ـ محاولة الشقيري استرضاء أوسع قاعدة فلسطينية من ذوي المكانة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية.
 - ـ سعي الشقيري إلى تجنب استثارة النظام الأردني، وكذلك محاولة الانسجام مع النهج الناصري و توجهاته.
 - ـ رغبة الشقيري في السيطرة على المجلس الوطني و توجيهه أعضائه.

أما فيما يتعلق بالميثاق القومي الفلسطيني والذي تمت المصادقة عليه في المؤتمر الوطني، فمن اسمه يتضح تأثر صياغته ومضمونه بالخط القومي العربي، مما عكس الدور الناصري وتأثيره على الشقيري، فقد وصف ذلك الميثاق بالقومي وليس بالوطني، في حين أشار ذلك الميثاق إلى الشعب الفلسطيني بأنه الشعب العربي الفلسطيني (الذي أمن بعروبه وتحمل مسؤولياته القومية)، وإلى فلسطين على أنها جزء من الوطن العربي، كما أن المادة الثانية عشر من الميثاق عملت على حسم الحوار بين شعاري الوحدة طريق التحرير و التحرير طريق الوحدة بأن نصت على "الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكملان، يهئ الواحد منها الآخر ... والعمل لهما يسير جنباً إلى جنب".¹⁰⁴

¹⁰³ المصدر السابق، ص ص 36-39.

¹⁰⁴ مشروع الميثاق القومي الفلسطيني ، وضعه السيد احمد الشقيري : مثل فلسطين لدى الجامعة العربية، 1964. ص ص 3-5.

وجهات النظر وردات الفعل

ترك تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية أثراً بالغاً في الأوساط الفلسطينية والערבية المعنية والمرتبطة بفلسطين، بالحيث الذي لم تكن فيه توجهات تلك الأوساط متشابهة ومتواقة، بل على العكس تبانت من مؤيد ومرحب إلى معارض ورافض¹⁰⁵، حيث لم تخل تلك المعارضة من الموضوعية أو من وجهات النظر ذات القيمة والوزن، وانطلاقاً من هذا، فلا ضير من الاضطلاع على بعض تلك المواقف بشيء من الإيجاز، للوقوف على واقع الحال أيام تلك الفترة.

فنجد الهيئة العربية العليا ومن خلال بيانها الذي أصدرته بهذا الصدد إنها "تعلن للرأي العام العربي عامة والفلسطينيين خاصة عدم الاعتراف باجتماع القدس وبكل ما نجم عنه من مقررات وإجراءات" فقد رأت الهيئة أن ذلك الاجتماع قد "خلا من جميع المظاهر الديمقراطية وحرية الرأي" وبالتالي اعتباره "اجتماعاً غير مشروع، وباطلاً من أساسه، ولا يمثل الشعب العربي الفلسطيني وأهدافه بأي حال" معللتناً موقفها هذا انطلاقاً من أن "هذا الاجتماع ومقرراته تجاوزاً على قرارات مجلس جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة"..... "وان انعقاده تم على أساس التعين الشخصي والكيفي"، فقد كانت مطالب الهيئة تنصب على ضرورة قيام الكيان الفلسطيني على أساس الانتخاب المباشر، وقد خلصت الهيئة بوصف مؤتمر القدس بأنه "مسرحية ما هي إلا مؤامرة صهيونية

¹⁰⁵Helena Cobban, 1982, p. 29.

تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية" داعيًّا الجماهير العربية إلى "التصدي للصهيونية والاستعمار" موضحًا أن موقفها المعارض من "مشروع الكيان المزيف ليس لمقاصد شخصية أو حزبية بل لإنقاذ القضية الفلسطينية من مؤامرة أكيدة لتصفيتها¹⁰⁶".

حيث اعتبرت الهيئة العربية العليا ومن خلال رئيسها الحاج أمين الحسيني أنه بنشوء هذه المنظمة الجديدة سينتهي دورها ودور رئيسها كليًّا خاصة وأن هذه المنظمة تلقى الدعم من العنصر الأكثر قوة على مستوى النظام الإقليمي العربي ألا وهو النظام المصري، فحاولت جاهدة الوقوف بوجه قيامها للحفاظ على ذاتها، أي بمعنى آخر أنها كانت معركة بقاء أو فناء.

أما فيما يخص موقف حركة فتح من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ومؤتمر القدس، فقد بقيت على تحفظها على ذلك الكيان والإجراءات التي مر بها، متمسكتاً بطرحها الأساسي بأن "الثورة المسلحة ستبقى الحل الوحيد لتحرير الوطن"¹⁰⁷، وبالتالي فلم يكن موقفها عادلًا كموقف الهيئة العربيّة العليا، بل ترکزت مطالبها على ثورية الكيان والعمل، وعدم أيمانها بالسياسات العربية ووصفها بالسلبية والجامدة، والتأكيد على أيمان الشعب الفلسطيني بذاته فقط¹⁰⁸. إذ ان حركة فتح قد استوّعت صعوبة الوقوف في وجه المنظمة الجديدة حتى ولو لم ترقى لمستوى الطموحات الفلسطينية، لفهمها مدى الأهمية الذي يلعبه

¹⁰⁶ بيان الهيئة العربية العليا لفلسطين حول المؤتمر الوطني الفلسطيني (بيروت: 10/6/1964 ، منشور رسمي) ، الوثائق العربية - 1964 ، دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة، الجامعة الأمريكية ، بيروت. ص 292-295.

¹⁰⁷ فلسطيننا، العدد 37 ، مصدر سابق ذكره، ص 9.

¹⁰⁸ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، ص 50.

عامل دعم عبد الناصر وتأييده وإشرافه على نشوء المنظمة الفلسطينية، فآثرت إتخاذ الموقف الحذر والمترقب قناعة منها بمدى قدرتها وقوتها.

غير أن التحول الملموس هو ما طرأ على موقف حركة القوميين العرب، بعد أن كانت مؤيدةً للشقريري ومساعيه قبل قيام المنظمة، فمن خلال بيانها الرسمي الذي صدر في أعقاب المؤتمر وقراراته، اعتبرت الحركة أن هذا الكيان هو "منظمة لا علاقة لها بالجماهير، وإن قيامها أدى إلى إلغاء قاعدة لا يمكن لمنظمة تحرير حقيقة أن تقوم بدونها وهي قاعدة التنظيم العسكري، والى الحيلولة دون إنشاء مجلس وطني قابل عملياً للمناقشة والتخطيط والتقرير والمراقبة والى تأليف لجنة تنفيذية لا تمثل الجماهير بل تعين من عناصر لا يحكم على قدرتها الفعلية إلا الشقريري"¹⁰⁹، وقد جاء انطباع الحركة وموقفها هذا بالاعتماد على ما قدمه الشقريري من رضوخ للنظام الأردني بتلبيته رغباته وشروطه، يضاف إلى ذلك بعض سلوكياته خلال العمل التحضيري للمؤتمر وتأسيس المنظمة بالذات مسألة تعين الأعضاء، وهكذا انتهت الحركة إلى تبني حقيقة مفادها أن ما تم إنجازه "لا يستطيع تحقيق الحد الأدنى المقبول من قبل الجماهير الفلسطينية".¹¹⁰

إذن وبالرغم من كون حركة القوميين العرب من الجهات التي تؤيد عبد الناصر وتتنصري تحت لوائه، إلا أنها وبموقفها هذا قد عبرت بتصريح العbara بكون أن مسألة الكيان الفلسطيني من أهم القضايا التي يعني بها الشعب الفلسطيني فآثرت أن تكون

¹⁰⁹ بيان حركة القوميين العرب حول المؤتمر الوطني الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية (بيروت: 14/6/1964)، الوثائق العربية - 1964، مصدر سبق ذكره، ص 295-297.

¹¹⁰ المصدر السابق

موضوعية وصادقة في ردة فعلها ورأيها، حيث اعتبرت أن المسلمين والركائز الأساسية لنهج النضال ومتطلباته لا يمكن المزاودة والمساومة عليها.

غير أن واقع الحال لم يذهب إلى ما عبر عنه معارضو قيام الكيان الفلسطيني ومنتقديه حيث تجاوزت عملية إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية كل تلك الأصوات لتشق طريقها في مسيرة القضية الفلسطينية، فقد كانت الشرعية العربية التي أفرزت ذلك الكيان أقوى من أن تقدر القوى المعارضة على الطعن به.

مؤتمر القمة العربية الثاني: 5-11 أيلول 1964

عقد هذا المؤتمر والذي لقب بمؤتمر فلسطين لاستفاذ القضية الفلسطينية لمعظم وقته، إذ تم الاتفاق على هذا المؤتمر بين الملوك والرؤساء منذ مؤتمر القمة الأول للاضطلاع على نتائج جهود الشقيري ولمتابعة ما تم طرحة من قضايا أخرى. حيث عقد المؤتمر في مدينة الإسكندرية في مصر، وحضره جميع الملوك والرؤساء العرب¹¹¹، وكان من أهم ما مرت به مجريات هذا المؤتمر، هو موقف السعودية وأميرها فيصل من منظمة التحرير الفلسطينية، إذ اعترضت على ما خرج به الشقيري من نتائج وأفعال عقب التكليف الذي أنيط به في مؤتمر القمة الأول، حيث تذرعت بأن ذلك التكليف لم يخوله إنشاء الكيان، بل دراسة الوسائل لهذا الهدف، مؤكدةً على أن معارضتها تلك ليست بما يتعلق بنشوء الكيان أو المنظمة وإنما اعترافها

¹¹¹ أحمد الشقيري، من القمة إلى المعركة، 1971، ص. 5.

وتحفظها هو على الطريقة والأسلوب التي أشئ بها¹¹². غير أن الأمر الأهم هنا هو حقيقة الخلاف الذي كان واقعاً بين الشقيري والنظام السعودي وتدور العلاقة بينهما، وكذلك فقد كان عامل ترشيح عبد الناصر وتخويله للشقيري هذه المهمة دوراً في هذا الموقف، فقد عارض النظام السعودي كذلك اختيار الشقيري من الناحية الأخرى لكونه مقرباً للنظام المصري.

وبعد خوض الجدالات والمناقشات الطويلة التي رد من خلالها الشقيري على كل الملاحظات أكانت من السعودية أو من غيرها، خلص المجتمعون إلى عدة قرارات¹¹³ كان من أهمها:

- » الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية و الترحيب بقيامها.
- » إقرار إنشاء جيش التحرير الفلسطيني¹¹⁴.
- » تخصيص ميزانية قدرها مليون دينار لصالح منظمة التحرير الفلسطينية.
- » تعقد لجنة المتابعة على مستوى رؤساء الحكومات مرتين في العام لتنفيذ قرارات الملوك والرؤساء¹¹⁵.

وبهذا تكون منظمة التحرير الفلسطينية قد حصلت على شرعها العربية في القمة

العربية الثانية¹¹⁶، لتبدأ بعد ذلك مسيرة عمل طويلة وشاقة تخللها الكثير الكثير من

¹¹²Bahgat Korany & Ali E. Hillal Dessouki, 1991, p.262.

¹¹³أحمد الشقيري : رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، مذكرة إلى مؤتمر القمة الأفريقي في أديس أبابا، 1966، ص ص 11-12

¹¹⁴Cheryl Rubenberg, 1983, P.6.

¹¹⁵أحمد الشقيري، على طريق المزاعنة مع الملوك والرؤساء ، (بيروت : دار العودة، 1972) ص 7.

الأحداث، إذ بقيت ذات طابع عمل ونشاط سياسي بالشكل الأساسي، إلى أن برز دور فصائل العمل الفلسطيني المسلح بقوة، في أعقاب هزيمة حرب عام 1967، ليحدث تحول نوعي على تكوينها وطابعها ونشاطها¹¹⁷.

وبالتالي فقد كان بروز فكرة إنشاء كيان فلسطيني مستقل، غير كافي بحد ذاته لخروج منظمة التحرير الفلسطينية إلى حيز الوجود، إذ تطلب الأمر صبراً وجهداً كبيراً، حيث ولدت المنظمة في الأحضان العربية الرسمية، ولو لا تظافر عوامل موضوعية عديدة لما كان لتلك المنظمة أن ترى الحياة¹¹⁸، حيث ساد بعض الاعتقاد أن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية جاء بقرار من مؤتمر القمة العربية، وهو بالأمر الغير دقيق، إذ كان لشخص الشقيري ودعم وتأييد عبد الناصر الدور الحاسم لبروز ذلك الكيان ورؤيته للنور.

¹¹⁶Bahgat Korany & Ali E. Hillal Dessouki, 1991, p.262

¹¹⁷ عبد الرحيم ملوح، إعادة الاعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رؤية أخرى ، العدد 24 ، السنة السادسة، تشرين أول 1998. ص.8

¹¹⁸ محمد كريشان، مظمة التحرير الفلسطينية: التاريخ والمايكل. الفصال و الإيديولوجية ، (دار البرق، ط.1، 1986) ص.13

الفصل الثالث

الطريق إلى نكسة 1967

ومرسيه مزيران

الفصل الثالث

الطريق إلى نكسة 1967 وحرب حزيران

لقد اعتبرت بعض الأوساط والقوى العربية أن مشكلة الفلسطينيين قد حلّت، وأصبح لهم كيانهم الخاص، وإن مسؤولية الشعب الفلسطيني ستزاح عن كاهل الأنظمة العربية، وستصبح القضية الفلسطينية أكثر مرونة وسلامةً.

غير أن هذا لم يكن بالاعتقاد الصحيح، فالأنظمة العربية لم تكن تحمل مسؤولية ذلك الشعب الشريد، بل كانت - وما زالت - تعتبره عبئاً عليها تزيد التخلص منه بأي وسيلة، كما أن ذلك الكيان ب تلك الشروط التي أسس معها لم يكن ليلقى القبول والاستحسان عند كثير من الأوساط الفلسطينية، وخصوصاً ذات النزعة الثورية كحركة فتح مثلاً، الداعية لنبذ العمل العربي المشترك والتوجه نحو العمل الفلسطيني الثوري المستقل لتحرير الأرض وإقامة الدولة.

وبذلك كانت انطلاقة حركة فتح بنهجها الثوري المبني على الكفاح المسلح أول أدق تعبير عن تلك الحالة من عدم الرضى عن منظمة التحرير تلك¹، إلا أن هذه الأخيرة وبالرغم من اعتبارها قد ولدت من رحم الأنظمة العربية، فإنها لم تسلم من تسلط وتعنت بعض هذه الأنظمة العربية التي عملت على تضيق الخناق عليها وتحجيمها وجعلها صورة خالية من أي

¹ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، ص 50

محتوى حقيقي. وأدل قول على هذا الإتجاه على سبيل المثال لا الحصر هو موقف الأردن من صلاحيات المنظمة ونشاطاتها والعقبات والمعوقات التي وضعتها في خط سير المنظمة وبرنامج عملها.

فواجهت نشاطات المنظمة الفلسطينية العديد من المعوقات، ولقيت مطالبها شتى أشكال الرفض²، فكان انعقاد الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني ثم انعقاد مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء وأيضاً الدورة الثالثة للمجلس الوطني، وما واكبها من تفاعل المنظمة ونشاطها على الساحة العربية ليدل على ذلك المستوى من التثبيط والتهميش الذي واجهته في سني عمرها الأولى، ليثبت بالليل القاطع فشل نظرية العمل تحت راية العمل العربي المشترك.

ولم يكن ذلك النظام الإقليمي العربي في فترة نشوء منظمة التحرير الفلسطينية احسن حالاً، فقد أصبحت الحرب الكلامية والتصريحات العدائية المتبادلة هي الطابع الرسمي لعلاقات تلك الأنظمة فيما بينها، وخير مثال على هذا الحال هو اشتداد حدة الخلاف بين عبد الناصر وفيصل ملك السعودية، وعلى وجه التحديد بعد أن بدأت تتبادر الآراء والسلوكيات على مستوى عناصر النظام الإقليمي العربي، ظهر الحبيب بورقيبة، الرئيس التونسي، منظراً للنسوية السلمية للصراع العربي - الإسرائيلي على أساس قرار التقسيم والتفاوض مع إسرائيل، وهو الأمر الذي لم يكن بمقدور أحد الأنظمة العربية أن يجاهر به³.

وكذلك فقد ظهر في هذه الحقبة الزمنية، أي فيما بعد عام 1965، نمط جديد للتنافس على اكتساب الشعبية واستقطاب المؤيدين، فخرج الملك فيصل بدعوته إلى التضامن

² كلامات على طريق التحرير، بيان موجه إلى الشعب الفلسطيني بعد الرجوع من مؤتمر القمة في الدار البيضاء، 1965، ص 57-59

³ مهدي عبد الهادي، 1992، ص 242-248

الإسلامي وصياغة ميثاق إسلامي وعقد المؤتمرات الإسلامية، ليكون ذلك هو السلاح الجديد في وجه زعامة ناصر، ورديفاً للعقيدة القومية العربية بأفكارها ومبادئها⁴، سعيًا لإحداث التوازن المطلوب داخل النظام الإقليمي العربي.

لتنهي حقبة زمنية من عمر النظام الإقليمي العربي بهزيمة جديدة، كان أحد الأسباب المباشرة فيها هو إضاعة الجهد باتجاه غير صحيح، هو إتجاه استنزاف القوى والإمكانات في الحرب الباردة الدائرة رحاحها بين الأنظمة العربية وعلى عملية التنازع والتنافس فيما بين القادة العرب وبالتالي الاتفاق على عدم الاتفاق.

⁴ هرلي لورنس، 1992، ص208

المبحث الأول

منظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية واستراتيجية التوريط

فتح الكفاح المسلح والانطلاق

لقد جاء أول تعبير عملي لعدم الرضى عن طبيعة الكيان الفلسطيني المنشود الذي تم خوض عنه المؤتمر الفلسطيني الأول والذي تمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث كانت المطالب والطموحات الفلسطينية تسعى لإنشاء كيان يضم كل قطاعات الشعب الفلسطيني وينتهج المنهج الثوري ويُسخر للكفاح والنضال من أجل استعادة الحقوق والاستعداد لخوض معركة التحرير وتحقيق الذات وإثبات الهوية والشخصية الفلسطينية و تكون منظمة التحرير الفلسطينية كيان خرج من رحم الأنظمة العربية يفتقر لفاعلية الثورية والسيادة الحقيقة⁵ على مقدرات الشعب المهجّر وغيره معبر عن الكيان المستقل بتبعيته للدول العربية ووصايتها عليه، فجاء قرار حركة فتح، التي تبنت وجهة النظر تلك، بالإعلان عن انطلاق كفاحها المسلح وقيامها بأول عملية عسكرية لها داخل إسرائيل، وذلك في الأول من كانون الثاني في مستهل عام 1965⁶.

⁵ فلسطيننا ، العدد 40 ، السنة السادسة، تشرين الثاني 1964 ، ص.9.

⁶ ماهر الشريف، 1995، ص129.

⁶ أريك رولز، 1980، ص.81.

لقد شعرت حركة فتح بوقوعها بمؤذق كبير⁷، عقب الأحداث العديدة التي مر بها عام 1964 وما حمله من تطورات على صعيد القضية الفلسطينية، فكان التخوف من عملية تسييس قضيتهم الوطنية، أي بإدخالها إلى مائدة المفاوضات السياسية العقيمة وجرها إلى حلبة المناقشات والمشاريع العربية بدون أن يكون هناك حل فعلي وعملي يقود بالفلسطينيين إلى الاستقلال وتحرير الوطن وإنشاء الدولة⁸. حيث كان التخوف الفلسطيني نابعاً من تسخير الكيان الفلسطيني في ركاب الأنظمة العربية الساعية لاحتواء إسرائيل وتجنب مواجهتها والمماطلة قدر الإمكان بخوض الحرب سعياً لتحرير أرض فلسطين، وبالتالي يكون الكيان الفلسطيني الذي أنشئ قد سخر لأهداف أخرى غير التي تمت المطالبة به من خلالها.

دعت الحركة إلى عقد مؤتمر موسع لقيادات الحركة في البلدان المجاورة لإسرائيل، تم عقده في دمشق في تشرين الأول من عام 1964، لدراسة الإجراءات الواجب اتخاذها إزاء تلك التطورات والأحداث، على وجه الخصوص نشوء منظمة التحرير الفلسطينية، بظل التحفظات والانتقادات التي وجهتها الحركة لهذه المنظمة، وخلصت المناقشات الطويلة إلى إقرار بوجوب البدء بشن حرب العصابات ضد الكيان الإسرائيلي⁹، ووضع شعار الكفاح المسلح قيد التنفيذ العلني، ليكون المنحني الثوري هو الأساس الحقيقي للنضال من أجل التحرير والدولة¹⁰.

⁸Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State, 1997. pp. 100-106.

⁹أريك رولو، 1980، ص.81.

¹⁰فلسطيننا، العدد 39، مصدر سبق ذكره، ص.20.

فقد رأت حركة فتح أن القيمة الأساسية لأي كيان هي الأرض التي تمثل الحرية، والكرامة فإذا زالت أو سُلِّبَتْ زال وسُلِّبَ كل شيء¹¹، وبالتالي فإن كيان بدون أرض فهو خالي من محتواه الحقيقي، وكذلك فإن المصلحة القومية العربية تقضي السماح للفلسطينيين العمل بحرية من أجل قضيتهم¹²، ومن هنا فإن النهج الثوري بكفاحه المسلح هو الطريق الذي تعبَّر عنه الإرادة الواعية لأبناء الشعب الفلسطيني الحر.

وعلى الجانب الآخر فقد أشارت حركة فتح إلى جيش التحرير الفلسطيني الذي سيعهد إلى منظمة التحرير الفلسطينية إنشاءه، بأنه سيكون من نمط الجيوش التقليدية والذي سترتبط قيادته بالقيادة العربية الموحدة بالإضافة إلى قيادة المنطقة التي سيكون فيها¹³، وبهذا فإن من الخطأ الفادح أن تعتمد أي حركة ثورية على مثل هذا جيش يشكل تشكيلاً فوقياً يفتقد إلى التجربة والممارسة¹⁴.

بناءً عليه ومن خلال تلك المنطقات وغيرها، كان قرار حركة فتح بإطلاق العنان للعمل الفدائي المعتمد على الكفاح المسلح، على اعتباره أرجع السبل لخدمة القضية والعمل لأجلها، وهو الضامن الوحيد لتحقيق الوحدة الوطنية¹⁵.

وفعلياً شرعت الحركة بتنفيذ أولى عملياتها الفدائية ضد العديد من الأهداف الإسرائيلية، بالذات المنشآت المعدة لتحويل مياه نهر الأردن، مع مطلع عام 1965 لفرض الأمر الواقع وتثبت حقيقة جدية العمل والنهج ذو الإنقاع والاستقطاب الأكبر بوجه

¹¹ المصدر السابق، ص.3.

¹² نفس المصدر، ص.20.

¹³ فلسطيننا، العدد 40، مصدر سبق ذكره، ص.9.

¹⁴ ماهر الشريف، 1995، ص.130.

¹⁵ Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State, 1997. pp. 107.

الوعود والبيانات والشعارات دون فعل حقيقي¹⁶، يضاف إلى ذلك الهدف الذي سعت فتح إليه من هذا النهج وهو "عمل صارخ مذهل يصعب مخيلته الإسرائيليين" للتدليل على وجود الفلسطينيين وسعفهم "لإدارة الصراع بصورة مستقلة استقلالاً ذاتياً عن الأنظمة العربية" وكذلك تدعيم القضية الفلسطينية " أمام الرأي العام العالمي الذي كان يجهل أو يتتجاهل قدر ومصير الشعب الفلسطيني".¹⁷

وكإجراء احترازي، بسبب الخوف من الفشل والإضرار بالحركة ومساقبها النضالي، قامت حركة فتح بإصدار البلاغ العسكري الأول الذي تبني العمليات الفدائية تلك باسم "ال العاصفة"¹⁸ والتي أعلن فيما بعد عن أنها الذراع العسكري لحركة فتح¹⁹. غير أن ردة الفعل العربية على تلك العمليات التي أطلقتها فتح أخذت بالسير بها، تمحورت حول نشوء استراتيجية التوريط، والتي نصت على أن تلك العمليات الفدائية الفلسطينية تسعى إلى توريط الدول العربية بدخول حرب في مواجهة إسرائيل²⁰، وهو الأمر الذي لم تكن الدول العربية قادرة عليه أو مستعدة له -حسب وجهة نظرها-، وقد تم التدليل على تبني وجهة النظر تلك من قبل الأنظمة العربية، من خلال المذكرة التي وجهها الفريق المصري علي علي عامر (قائد القوات العربية الموحدة) إلى كافة الحكومات العربية طالباً

¹⁶ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية ، ص.50.
¹⁷ أريت روتو، 1980، ص.81.

¹⁸ Yezid Sayigh, Armed Struggle and Search for State, 1997. pp. 107.

¹⁹ أريت روتو، 1980 ، ص.82.
²⁰ ماهر الشريف، 1995، ص.128.

فيها قمع نشاط حركة فتح وتضييق الخناق عليها خصوصاً في مجال العمليات الفدائية، وذلك لعدم "إعطاء إسرائيل ذريعة لمهاجمة البلدان العربية".²¹

في حين الذي اعترفت فيه حركة فتح بأن عملها ذلك سيؤدي إلى توريط الدول العربية، إلا أنه توريط من جانب مغاير، فهو بحقيقة، بنظرها، موجه نحو الجماهير العربية وليس نحو الأنظمة العربية بحکامها وجيوشها، فهو توريط واعٍ يجب أن يأخذ في الحسبان كل عمل تحريري.²²

المجلس الوطني الفلسطيني

الدورة الثانية

انعقدت الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني في الفترة الواقعة ما بين 31 أيار إلى 4 حزيران من العام 1965 في مدينة القاهرة²³، من نفس الأعضاء الذين حضروا المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول والذين اعتبروا أعضاء للمجلس الوطني الفلسطيني، حيث مثل هذا المجلس السلطة التشريعية للمنظمة.

قامت اللجنة التنفيذية لدوره المجلس الوطني هذه بتقديم تقرير وافٍ بكل الأعمال التي تم إنجازها منذ انعقاد الدورة الأولى للمجلس -التي تخللت مجريات المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول-، في حين اعتبرت الإنجاز الأكبر لها هو تجسيد الكيان الفلسطيني بشخصيته المستقلة، مع التأكيد على أن هذه الشخصية القائمة والمستقلة بذاتها هي شخصية

²¹ أربك رولو، 1980، ص. 83.

²² ماهر الشريف، 1995، ص. 128.

²³ حمار فلسطين، 1966، ص. 133.

وحدوية في صميم الوحدة العربية، أي أنها ليست بالشخصية المنعزلة أو الانفصالية²⁴. وهو

ما أريد به الإشارة إلى أن وجود كيان فلسطيني مستقل بذاته لا يعني بالضرورة التعارض

مع طروحات الفكر القومي أو التوجهات القومية لأبناء الشعب الفلسطيني.

غير أن الحدث الأهم الذي تخل هذه الدورة، هو ما قامت به حركة فتح من إرسال

مذكرة خلال انعقاد أعمال الدورة، باسم (القيادة العامة لقوات العاصفة) مشيرةً إلى أن

"انطلاق قوات العاصفة قد هيأت لمنظمة التحرير الفلسطينية مناخاً ثورياً كان في وسع

قيادتها استغلاله للخروج من المأزق الذي رافق تشكيلها²⁵" كما تضمنت مذkerتها تلك

توصية بعدد من المقترنات²⁶ كان من أهمها:

» اتخاذ العمل الفدائي المسلح منطلقاً أساسياً في تحقيق الوحدة الوطنية.

» أن يتشكل المجلس الوطني القادم من قيادات التنظيم الفلسطيني ذي التوجه

العسكري المقاتل بنسبة الثلثين على الأقل، على أن لا يزيد عدد أعضاء المجلس

الوطني القادم عن خمسين عضواً.

» أن تمارس قيادة الجيش الفلسطيني مسؤولياتها بحرية وتحديد استراتيجية العمل

العسكري الفلسطيني زمنياً ومرحلياً بحيث يكون منسجماً ومتكاماً مع العمل الفدائي.

» أن لا يطغى الاهتمام بالجيش النظمي على أعداد الكتائب الفدائية الضاربة.

²⁴ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، 1995، ص.315

²⁵ ماهر الشريف، 1995، ص.130.

²⁶ ناجي علوش، فكر حركة المقاومة الفلسطينية، ص.50.

- « إنتهاء مرحلة الوصاية على العمل الفلسطيني، وإنهاء دور المسؤولين العرب في الانفراد في تقديم الحلول للقضية الفلسطينية. »
- « إبراز الشخصية الفلسطينية باعتبارها الطرف الأصلي في الصراع العربي - الإسرائيلي. »
- « إن الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصيره على ترابه. »

ومن خلال هذه المذكرة سعت حركة فتح وبكل جدية لتبني وترسيخ مبادئها ومنطقاتها وأهدافها التي تعمل من أجلها، إذ يتحدد من خلال بنود المذكرة أنها تؤكد على استقلالية النضال الفلسطيني وكيانه وكذلك حتمية تبني النهج الثوري ورفع راية الكفاح المسلح والخروج من سياق العمل تحت راية الأنظمة العربية، التي رأت فيها العامل الأساسي في تعطيل جهود تحرير فلسطين وذلك بعمل تلك الأنظمة العربية باستقطاب القوى الفلسطينية لاستخدامها وتسخيرها في منافساتها وخلافاتها الخاصة، دون أن يكون العمل من أجل القضية الفلسطينية لوضع الحلول الجذرية والفعالة، بل استثمارها كعنصر فعال في الحرب العربية الباردة.

وفي ختام أعمال هذه الدورة خرج أعضاء المجلس بعدة قرارات ونوصيات²⁷ كان

من أهمها:

- « إن تحرير فلسطين هو أكبر أهداف العمل الثوري العربي. »

²⁷ حمار قسطنطين، 1966، ص 133.

- ـ إن دور الشعب العربي الفلسطيني هو دور الطليعة في معركة التحرير.
 - ـ مطالبة الدول العربية باستخدام جميع الوسائل وخاصة البترول كسلاح فعال في نصرة القضية الفلسطينية.
 - ـ تعميم قانون التجنيد الإجباري، الذي بدأ تطبيقه في غزة، على كافة تجمعات الشعب الفلسطيني.²⁸
 - ـ الموافقة بالإجماع على إعادة انتخاب الأستاذ أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وإعطاءه حرية العمل على اختيار أعضائها.
- وبذلك تكون أعمال هذه الدورة للمجلس الوطني لم تخرج بالشيء الجديد عن ما تم اتخاذه وتبنيه في الدورة الأولى خلال المؤتمر المذكور.

الدورة الثالثة:

انعقدت الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني في الفترة الواقعة ما بين 20 و24 أيار 1966 في مدينة غزة²⁹، عرض خلالها رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة أحمد الشقيري إنجازات المنظمة خلال الفترة الممتدة منذ الدورة الثانية للمجلس، حيث اجمع الأعضاء على عدة توصيات تم إقرارها³⁰ كان من أهمها:

²⁸ Yezid Sayigh, Escalation or Containment? Egypt and the Palestine Liberation Army, 1964 – 1967, in: Middle East Journal. 30 (1998), pp. 100 – 101.

²⁹ حوار فلسطينيين، 1966، ص 134.

³⁰ المصدر السابق، ص 135.

- » المطالبة بالتنفيذ الفعلى للتجنيد الإجباري والتدريب الشعبي للفلسطينيين والسامح بإنشاء وحدات جيش التحرير الفلسطيني والإسراع في تسلیح وتدريب وتحصین القرى الأمامية.
- » ضرورة استخدام البترول العربي سلاحاً أساسياً من أسلحة المعركة لاسترداد الوطن السليب ومطالبة الدول العربية المنتجة للبترول بعدم التردد في أداء هذا الواجب القومي.
- » خوض الدول العربية وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني، معركة الحرب الوقائية مع إسرائيل لمنعها من الحصول على السلاح الذري، والتأكد أن هدف هذه الحرب هو تحرير أرض فلسطين كلها من العدو، وإعادتها إلى السيادة العربية.
- » مناشدة الدول العربية الامتناع عن السير في ركب مخططات الدول الاستعمارية التي كانت السبب الرئيسي في مشكلة فلسطين.
- » مناشدة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية لقيادة العربية الموحدة، حتى تستطيع هذه القيادة بدورها الوفاء بالتزاماتها المالية اتجاه جيش التحرير الفلسطيني.
- » وقف أعمال الإبعاد والتعصب في كل مكان ضد الفلسطينيين.
- » مطالبة الدول العربية بمنح الفلسطينيين حريةهم في شؤون العمل والسفر والإقامة.

والتطور الذي يظهر هنا من خلال هذه المطالب التي خرج بها ممثلي المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة، هو محاولة الخروج من الشكل السلبي الذي ولدت فيه

منظمتهم والعودة إلى التأكيد على تلك الثوابت والأسس العملية التي يجمع عليها أغلب أقطاب وقوى الكفاح الفلسطيني، بعد أن قدمت تلك التنازلات لتجسيد الكيان فاصبح الهدف هو جعل الكيان ذو فعالية وعمل حقيقي، وإعطاء الفلسطينيين حريةهم المطلقة في التعامل مع قضيتهم والعمل لأجلها، أي بالمعنى المقابل إخراج القضية الفلسطينية والكيان الفلسطيني من كونه الأداة التي تستخدم لخوض الحرب العربية الباردة وإحداث توازن القوى المطلوب داخل نظامهم الإقليمي.

وفي حقيقة الأمر فقد واجهت منظمة التحرير الفلسطينية في الفترة الواقعة ما بين انعقاد الدورتين الثانية والثالثة صعوبات ومشكلات كثيرة، كان على رأسها مسألة تباطؤ الحكومات العربية في الوفاء بالالتزاماتها المادية التي أقرها مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية عام 1964، مما سبب صعوبات مالية أثرت على سير المنظمة وأدائها³¹.

كذلك فقد رفضت الحكومة الأردنية أن تسمح للمنظمة بتوزيع السلاح على الفلسطينيين في قرى الخطوط الأمامية للضفة الغربية بحجة أن الدفاع عن هذه القرى من مهمة الجيش النظامي الأردني، وذلك لإبقاءها على تفردها وسيطرتها التامة على خطوط المواجهة مع إسرائيل فيقي الهواء مستداماً فلا تكون مضطورة للمواجهة أو لتلقى الضربات الإنقامية، كما رفضت الجهات الأردنية المختصة تطبيق قانون الخدمة العسكرية الإلزامية على الفلسطينيين وكذلك رفضت فرض ضريبة التحرير على أولئك الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية والأردن³².

³¹ سخريون قاسية، 1987، ص 289.

³² أحمد الشغوري، على طريق المزينة، 1972، ص 91 - 92.

إلا أن الأمر هنا لا يعني أن منظمة التحرير الفلسطينية لم يكن لها شاغل سوى تحدي السيادة الأردنية على الأراضي الفلسطينية وسحبها من تحت يدها، إنما تتبّع أهمية هذا الأمر بكونه جانباً ليس بالهين أو القليل من جهود المنظمة في مواجهة أنظمة النظام الإقليمي العربي، وإزالة القيود والضوابط التي كبدت فيها المنظمة الفلسطينية التي تتماشى مع توجّهات الأنظمة العربية وأهدافهم وطبيعة علاقاتهم المتبادلة.

في الحين الذي أشتد فيه الخلاف بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير في أعقاب انتهاء أعمال هذه الدورة الثالثة للمجلس الوطني، على إثر تعديل المادة 22 من النظام الأساسي للمنظمة التي كانت تنص على "تشكيل وحدات فلسطينية خاصة وفق الخطة التي تقرها القيادة العربية الموحدة بالاتفاق والتعاون مع الدول العربية المعنية" حيث أصبحت تنص على "تشريع منظمة التحرير الفلسطينية جيشاً من أبناء فلسطين يعرف بجيش التحرير الفلسطيني، وتكون له قيادة مستقلة، وواجبه القومي أن يكون الطليعة في خوض معركة التحرير"، حيث وقعت القطيعة التامة بين المنظمة والحكومة الأردنية، وقامت هذه الأخيرة بإغلاق المقر الرئيسي للمنظمة في القدس، عملت على إثراها اللجنة التنفيذية بنقل مقر المنظمة إلى القاهرة³³.

ولتكون هذه الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني هي الأخيرة بأشخاصها وأعضائها قبيل اندلاع حرب عام 1967، إذ أنه بعد حادثة النكسة من ذلك العام حدث العديد من التطورات والتغيرات على صعيد القضية الفلسطينية والصراع العربي_الإسرائيلي، كان منها ما هو متعلق بذلك الكيان الفلسطيني، من استقالة الشقيري من منظمة التحرير

³³ المصدر السابق، ص 235.

الفلسطينية وجامعة الدول العربية واعتزله العمل السياسي، ودخول أشخاص جدد على هيكليّة المنظمة بكافة أجهزتها ومؤسساتها.

المبحث الثاني

السير على دروب الهزيمة

الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ومشروع التسوية

جاء الخطاب الذي ألقاه الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في 3 آذار 1965 في مدينة أريحا الفلسطينية خلال الجولة التي قام بها في بلدان المشرق العربي ، حضره جمع غفير من اللاجئين الفلسطينيين³⁴، ليحمل بين ثيابه مشروعًا لحل القضية الفلسطينية، غير أن مشروعه هذا كان مختلفاً كل الاختلاف عن جميع الطرóحات والشعارات العربية التي دعي إليها منذ نكبة فلسطين، فقد خرج ذلك المشروع بالطلبة الصريحة والعلنية بمهادنة إسرائيل والدخول معها بعملية سلمية تضمن "تحقيق التعايش العربي - الإسرائيلي"³⁵، وهو الأمر الذي لم يسبق لأي طرف عربي - في ذلك الوقت، حتى ولو كان مؤمناً به- أن يجرؤ على البوح به أو طرحه كخيار أو هدف في الصراع العربي - الإسرائيلي.

حيث صرّح بورقيبة قائلاً: "إن الإكثار من الكلام الحماسي أمر سهل وبسيط للغاية أما ما هو أصعب وأهم فهو الصدق في القول والإخلاص في العمل ودخول البيوت من أبوابها وإذا اتضح أن قوانا لا قبل لها بمحق العدو ورميه في البحر فعلينا أن لا نتجاهل ذلك بل يجب أن ندخله في حسابنا..... حتى نتقدم نحو الهدف مرحلة بعد مرحلة..... وان

³⁴ مهدي عبد المادي، 1992، ص 242.

³⁵ المصدر السابق.

يدخل في حسابه المنعرجات التي قد يضطر إلى اتباعها لاجتياز العرائق والصعوبات.....

"كما أضاف مخاطبًا الجماهير الفلسطينية الحاضرة وموجهاً الحديث لها "لا بد لأمثالكم سواء في المشرق أو في المغرب من أن لا يعرقلوا بحماسهم المتدافق عمل القادة وأن لا يدفعهم تمسكهم بالخط المستقيم إلى وضع الصعوبات في طريق تنفيذ الخطة التي ربما استقر عليها رأي الساسة..... وهذه هي نصيحتي التي أقدمها لكم ولكل العرب حتى تضعوا في الميزان لا العاطفة والحماس فقط بل وكذلك جميع معطيات القضية" في حين الذي وجه حديثه إلى القادة والزعماء العرب موضحاً "اعتقد أنه يجب أن يبرز من صفوف العرب رجال لهم الشجاعة الكافية على مصارحة الشعب ومواصلة الكفاح بجميع منعرجاته وأطواره ومراحله"، وقد أسهب في طرح أراءه قائلاً: "لقد أردت أن أجمع بين الأمرين فقلت أن اليهود من جهة يمكن التعايش معهم ومن جهة أخرى هناك كرامة العرب وحربيتهم في تقرير مصيرهم"، وفي خضم تعليقه على مسار الصراع العربي_ الإسرائيلي و مجريات القضية الفلسطينية أعرب عن وجهة نظره قائلاً: "إنها تجربة انقضت عليها سبعة عشر سنة دون أن تحقق أي نتيجة، فكونوا إذن أكثر تواضعاً وحاولوا إيجاد طريقة أخرى وإن أبيتم فالأمر أمركم ولست مسؤولاً عن فلسطين أو عن ما قد يجري في فلسطين"³⁶.

ثم عاد الرئيس بورقيبة ليطرح مشروعه من جديد، وذلك في خطابِ ألقاه في تونس بتاريخ 21 نيسان 1965، ليذهب برأيه أكثر تفصيلاً فيطالِب بتسوية النزاع العربي –

³⁶ المصدر السابق، ص 243 - 247.

الإسرائيли على أساس قرار الأمم المتحدة الصادر عام 1947 والداعي إلى تقسيم فلسطين،

محدداً مطالبه³⁷ على النحو الآتي:

- » تعيد إسرائيل إلى العرب ثلثا المساحة التي احتلتها منذ إنشائها لتقوم عليها دولة فلسطينية عربية.
- » يعود اللاجئون الفلسطينيون إلى دولتهم الجديدة.
- » تتم مصالحة، ويعقد سلام بين الدول العربية وإسرائيل ينهي حالة الحرب (الباردة) بينهما.
- » أقترح أن تبدأ المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل على أن يتبعها اجتماع بين إسرائيل والحكومات العربية في روما أو في أي عاصمة أخرى.
- » وعد بإثارة الموضوع في مؤتمر القمة العربي القادم في الدار البيضاء وأن يتصل شخصياً بالرئيس عبد الناصر حوله إذا أخذت إسرائيل موقفاً إيجابياً من مقترحاته.

وبهذا نرى أن الحبيب بورقيبة أخذ على الفلسطينيين والعرب نهجهم في إدارة الصراع مع الإسرائيликين وأسلوب عملهم لحل القضية الفلسطينية، داعياً الجماهير العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص بعدم الوقوف أمام توجهات القيادة وإعاقة عملهم، مؤكداً على أولئك القيادة بتبني ما طرحته من أفكار لتحقيق الأهداف والغابات، وبهذا فقد أثار بورقيبة

على نفسه نعمة الشارع العربي بغالبيته³⁸.

³⁷ نفس المصدر، ص 248.

³⁸ فيصل الحوراني، عبد الناصر و القضية الفلسطينية ، 1987، ص 30.

وقد كان لهذا الطرح صدىً بالغ خرج على إثره العديد من المواقف وردات الفعل، كان من أهمها، ما أبدته منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة برئيسها الشقيري من موقف إزاء تلك الطروحات، فقد أعلنت المنظمة في بداية الأمر، وبدون ذكر أسم الحبيب بورقيبة مكتفية بالإشارة الضمنية، بالرفض القاطع والجازم لمشاريع التقسيم أو التوطين أو التدويل³⁹. وذلك لتحاشي الدخول في خلافات ومواجهات مباشرة مع الأنظمة العربية وهو الأمر الذي ليس من أهدافها أو في برامج عملها، بل هي ترفضه وتطالب بالإبعاد عنه للتركيز على القضية الأساسية وهي تحرير فلسطين.

غير أن منظمة التحرير وفي أعقاب خطاب بورقيبة في تونس، عادت لتعلن موقفها هذه المرة بكل صراحة ووضوح، فأعلن الشقيري في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة قائلاً: "إن الحبيب بورقيبة بما قال قد خرج عن إجماع الأمة العربية وإنّه خان القضية الفلسطينية وإننا نحن نرفض مقترحاته جملة وتفصيلاً" وقد أوضح الشقيري أسباب الرفض مبيناً أن "الحبيب بورقيبة أراد أن يشبه قضية فلسطين بقضية تونس وما أبعد النسبة" حيث أن "فرنسا تبقى في فرنسا وشعب تونس يبقى في تونس، لم تكن المفاوضات ولا التعايش السلمي بين تونس وفرنسا، أن تبقى فرنسا في تونس وأن يكون لفرنسا وطن قومي في تونس، أن يكون لفرنسا دولة صغيرة فرنسية في تونس"⁴⁰.

وما أراد به الشقيري هنا الإشارة لطرد شعب فلسطين وإخراجه من أرضه، وهو الأمر الذي لم يكن واقعاً في القضية التونسية، وكذلك فإن مفاوضات الجلاء بين التونسيين

³⁹ كلمات على طريق التحرير ، كلمة منتصف أيار 1965 على مدرج جامعة القاهرة، 1965، ص 24.

⁴⁰ المصدر السابق، ص 25 - 26.

والفرنسيين كانت لجلاء القوات الفرنسية من تونس وإنهاء حالة الاستعمار وليس تقاسم تونس

بين فرنسا والشعب التونسي، غير أن الأمر بالنسبة للقضية الفلسطينية مختلف كل الاختلاف،

حيث أوضح الشقيري هذا الأمر قائلاً: "كيف يمكن أن يكون الجلاء، هل الحبيب بورقيبة

يطمح من وراء هذه المفاوضات أن تجلو إسرائيل عن فلسطين، هذا خيال ما بعد خيال"⁴¹.

وفي نهاية الأمر تقدمت منظمة التحرير الفلسطينية بطلبها إلى لجنة الممثلين

الشخصيين للملوك والرؤساء بفصل تونس من عضوية جامعة الدول العربية وكذلك إسقاط

عضوية بورقيبة من مؤتمر القمة العربي⁴².

في حين ذهبت الحكومة المصرية وعلى لسان وزير خارجيته محمود رياض

بإعلان عن "رفض مصر واستنكارها لمقترحات بورقيبة ورفض أن يكون هناك أي توسط

أو مفاوضات حلول وسط بالنسبة للقضية الفلسطينية،.....، وإدانة الرئيس بورقيبة

باعتباره خرق إجماع ملدين العرب ورجع عن توقيعه على قرارات مؤتمر القمة الأول

الداعي للعمل العربي الموحد ضد إسرائيل⁴³.

بينما أقر ممثلو الملوك والرؤساء في بيانهم الذي أصدروه في أواخر نيسان "رفض

آية دعوة إلى الاعتراف أو المصالحة أو التعايش مع إسرائيل التي اغتصبت بمؤازرة

الاستعمار جزءاً من الوطن العربي، وأخرجت شعبه منه واتخذها الاستعمار قاعدة تهدد

⁴¹ المصدر السابق، ص 27.

⁴² نفس المصدر، ص 28.

⁴³ مهدي عبد الهادي، 1992، ص 248.

البلاد العربية كلها وتحول دون قوتها وتقدمها كما يعتبرون مثل هذه الدعوة خروجاً على الإجماع العربي في قضية فلسطين⁴⁴.

حيث كان هذا الموقف نابعاً من فكرة المجاهرة بعداء إسرائيل ورفض الحلول السلمية والتفاوضية من قبل الأنظمة العربية، والذي كان بالحد الأدنى يتماشى ورأي الجماهير الشعبية العربية والفلسطينية، حتى ولو لم تكن تلك الأنظمة في حقيقة الأمر يعتبرونه بينهم وبين أنفسهم من الثوابت التي لا تمتس، غير أن مكانتهم في الحكم والنظام الإقليمي العربي كانت تتعزز بالتشدد نحو القضية الفلسطينية وليس بتقديم الحلول السلمية.

ليشهد بعد ذلك مؤتمر القمة العربي الثالث بعضاً من التطورات والأحداث على صعيد هذا المشروع وما رافقه من مجريات وموافق.

مؤتمر القمة العربي الثالث: 13 - 17 أيلول 1965.

عقد هذا المؤتمر في 13 أيلول عام 1965 في مدينة الدار البيضاء المغربية، بناءً على دعوة الملك الحسن الثاني، ملك المغرب، لاستضافة هذا المؤتمر في بلاده⁴⁵. وعلى غرار المؤتمرين السابقين للقمة العربية فقد كان المحور الرئيسي لهذا المؤتمر هو القضية الفلسطينية والصراع العربي_ الإسرائيلي، وعلى وجه التفصيل لدراسة التطورات على صعيد تحويل مجرى نهر الأردن، ومتابعة إنجازات القيادة العربية الموحدة⁴⁶، والأهم

⁴⁴ المصدر السابق، ص 248 - 249.

⁴⁵ محمد حسين هيكل، الانتحار: حرب الثلاثين سنة 1967 ، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط. 1، 1990) ص 202.

⁴⁶ فواز جرجس، 1997، ص 263.

هو تدارس شؤون منظمة التحرير الفلسطينية ومسألة تأزم العلاقات بين منظمة التحرير والأردن⁴⁷.

وانطلاقاً من ذلك وبسبب عدم تقييد الدول العربية بالوفاء بالتزاماتها التي تعهدت بها مؤتمرات القمة السابقة بالذات المالية منها، كذلك فقد رفض الأردن التجنيد للفلسطينيين في الأردن والضفة الغربية وتسلیحهم وجباية ضريبة التحرير لصالح المنظمة، فقد فضل الشقيري توجيه بيان من خلال إذاعة المنظمة في القاهرة إلى أبناء الشعب الفلسطيني وأبناء الأمة العربية قبل توجهه إلى حضور هذا المؤتمر، لتوضيح صورة الوضع الحقيقة والمطالب التي سيتقدم بها لهذه القمة والإنجازات التي تم تحقيقها⁴⁸.

فعلى صعيد الإنجازات أوضح الشقيري تلك الإنجازات التي تم تحقيقها في مجالات شتى منها: على الصعيد العسكري من إنشاء جيش التحرير وإقامة المعسكرات التدريبية في قطاع غزة وسوريا والعراق ومصر، ومن الناحية المالية إنشاء الصندوق القومي، أما في مجال الأعلام حيث تم تأسيس مكاتب في عدد من الدول الصديقة، أما بالنسبة لميدان البحث العلمي فقد تم إنشاء مركز للأبحاث والدراسات عن القضية الفلسطينية في بيروت، وختامة

هذه الإنجازات هو النصر الدولي الكبير الذي حققه زيارته إلى الصين

⁴⁹ الشعبية.

في حين كانت المطالب التي أشار إليها الشقيري في خطابه هذا متمثلة بتطوير وتوسيع قاعدة جيش التحرير الفلسطيني عدداً وعدة مع التركيز على قيام ذلك الجيش على

⁴⁷ محمد حسين هيكل، الانفخار ، 1990، ص 217.

⁴⁸ كلمات على طريق التحرير ، بيان موجه إلى الشعب الفلسطيني قبيل التوجه إلى مؤتمر القمة في الدار البيضاء ، 1965 ، ص 43.

⁴⁹ المصدر السابق، ص 43 - 46.

أرض فلسطين وتحديداً في الضفة الغربية وقطاع غزة، وإقرار نظام التجنيد الذي رفض تسميته بالإجباري، كما وعد الشقيري بالمطالبة بإزالة المصاعب التي تضعها الدول العربية أمام حركة ونشاط الفلسطينيين من سفر وإقامة وعمل، وأيضاً التأكيد على مطلب الشعب الفلسطيني بإجراء انتخابات عامة للمجلس الوطني، وانتهاءً بالمطالبة بحق الحرية الكاملة في العمل والنضال من أجل القضية⁵⁰.

غير أن هذه المطالب كانت لتصطدم بواقع النظام الإقليمي العربي ومتطلبات أنظمته ومصالحها، إذ أن ما كانت تسعى له منظمة التحرير الفلسطينية والحركات الفلسطينية الأخرى لم يكن لتجتمع عليه تلك الدول العربية، حيث كل واحدة منها تسير وتدعى ما يتماشى مع نهجها وأهدافها، وبالتالي كان من المستحيل الحصول على الإجماع في الموافقة على مثل كل تلك المطالب.

معيناً في نهاية خطابه على التأكيد على إبلاغ الشعب الفلسطيني بالنتائج التي سيخلص لها مؤتمر القمة هذا، خاصة في حال رفض تلك المطلب أو بعض منها⁵¹. وفي خضم أحداث هذا المؤتمر العتيد وما صاحبه من سجالات ونقاشات لها أول وليس لها آخر، كانت عدة مواضيع محددة تطفو على سطح بحر الظلمات الذي غرق فيه أولئك الملوك والرؤساء من خلال الجدال العقيم بدون أن يكون هناك تحديد لاتجاه أو هدف، ومن تلك المواقف، مسألة القوات العراقية والسعوية المرابطة على الحدود الأردنية منتظرة السماح لها بالدخول لتحسين الخطوط الأمامية في مواجهة إسرائيل، حيث كان ذلك

⁵⁰ المصدر السابق، ص 50 – 52. كذلك انظر: Shaul Mishal, 1978, pp..71 – 72.

⁵¹ المصدر السابق، ص 53.

جزء من خطة الدفاع العربي المشترك، وكذلك فقد طرح الملك فيصل الدعوة لإقامة مؤتمر إسلامي يضم دولاً غير عربية هو الآخر محل نقاش وجدال طويل من غير نتيجة، ونهاية فقد كان أفق الخلاف والنزاع الذي بدأ ييزغ بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الأردني ذو مكانة مميزة على جدول أعمال مؤتمر القمة الثالث هذا.

فعلى صعيد القضية الأولى، قضية القوات السعودية والعراقية، فقد انتهى الأمر بالرفض القاطع من قبل النظام الملكي الأردني بدخول تلك القوات واتخاذ قدرة القوات الأردنية على صد العدوان الإسرائيلي ذريعة لذلك الرفض، هو النتيجة النهائية لمناقشات هذه المسألة، حيث خلص مجلس الملوك والرؤساء إلى سحب تلك القوات وعودتها إلى قواعدها سالمة.⁵²

في الحين الذي لم يتطرق فيه حاضرو المؤتمر على ماهية المؤتمر الإسلامي وضرورته والفائدة المرجوة منه، خاصة وأن هذا الطرح كان قد ظهر على جدول أعمال القادة العرب لأول مرة، فأقبل الستار على هذا الموضوع دون الوصول إلى نتيجة.⁵³ أما على صعيد علاقة المنظمة بالنظام الأردني، فقد كان استثناء المنظمة من تعنت النظام الأردني بالسماح لها بتجنيد الفلسطينيين في الأردن والضفة الغربية⁵⁴ مثار جدل طويل لم تتفق معه كل وسائل الإقناع والتأثير، ليبقى الملك حسين على إصراره، وينتهي الأمر دون أن تنزع الموافقة عليه.⁵⁵

⁵² أحمد الشقربي، على طريق المزحة، 1972، ص 264.

⁵³ المصدر السابق، ص 82.

⁵⁴ Yezid Sayigh, Escalation or Containment? Egypt and the Palestine Liberation Army, 1964 – 1967 , 1991, pp.104 – 106.

⁵⁵ أحمد الشقربي، على طريق المزحة، 1972، ص 92.

وفيما يتعلق بالمطالب التي تقدم بها الشقيري، فلم تكن ذات حظاً أوفرا من تلك القضايا التي عالجها المؤتمر، فلم يتفق الحضور على صيغة لمسألة الانتخابات العامة للمجلس الوطني الفلسطيني، وذلك بسبب الصعوبات والشروط التي تضعها تلك الدول على نشاطات وتقلبات الفلسطينيين داخل بلادهم، والتي كانت تختلف من دولة إلى أخرى بالإضافة إلى الإختلاف في أسبابها والغاية منها، وفضلوا الاتفاق على صيغة "إن على المنظمة أن تتفق مع الدول العربية بشأن الموضوع"⁵⁶، وعلى هذا الغرار سارت باقي المطالب الفلسطينية التي تقدم بها الشقيري، ليكون خلاصة النقاش حولها هو صياغة ديباجة تناسب وأراء الملوك والرؤساء.

غير أن أهم ما تم إقراره في هذه القمة هو المصادقة على مشروع ميثاق التضامن العربي⁵⁷، والذي تضمن فيما تضمنه:

- » تضامن الدول العربية في خدمة الأمة وقضيتها الأولى فلسطين.
- » احترام أنظمة الحكم في كل بلد عربي والتعهد بعدم التدخل في شؤونها الداخلية.
- » احترام قواعد القانون الدولي.
- » الامتناع عن تشجيع حركات التمرد والانفصال في أي بلد عربي من جانب بلد عربي آخر.

وليخرج البيان الختامي للقمة بوصف مؤتمرهم بتحقيق النجاح الباهر.

⁵⁶ المصدر السابق، ص 211.

⁵⁷ محمد حسين هيكل، الانفجار ، 1990، ص 218.

وبذلك أُقفل الستار على أحداث ومجريات آخر مؤتمرات القمة العربية قبيل نكسة

عام 1967، حيث كان من المقرر عقد القمة الرابعة في الجزائر في السنة التالية لهذه القمة،

غير أن أجواء المشاحنات والخلافات العربية حالت دون ذلك.

وليعود الشقيري أدراجه إلى القاهرة وليعتلي منبر إذاعة المنظمة ليلقي خطابه الذي

كان قد وعد به الشعب الفلسطيني قبل خروجه للمشاركة في أعمال مؤتمر القمة الثالث،

قائلاً: "وقد مضى مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء، كل أيامه وبعض لياليه يبحث

موضوع تحرير فلسطين..... إنه السؤال القديم الذي انطلق منذ النكبة متى يكون تحرير

فلسطين وكيف؟؟..... أجاب مؤتمر القمة في الدار البيضاء على هذا السؤال الكبير،

بتوقيع التضامن العربي وإقرار خطة القيادة الموحدة لتحرير فلسطين..... والتضامن

العربي وثيقة..... والجديد فيها توكيده..... لقد مضى على الدول العربية عشرون

عاماً منذ وقوع ميثاق الجامعة، ولم يستطيعوا أن يحققوا التضامن العربي فيما بينهم

وقد كانت هذه الإشارة واضحة من أن سياسة الأنظمة العربية والتي ترتبط تحرير فلسطين

بتحقيق الحد الأدنى من الوحدة العربية والمتمنى بالتضامن ما هي إلا المخرج الحقيقي لتلك

الأنظمة من مأزق إيجاد حل فعلي وجذري للقضية الفلسطينية، فقد كانت الخلافات العربية

أكبر من أن تترك مجالاً لأي نوع من التضامن أو الوحدة، ثم أضاف الشقيري قائلاً: وانتقل

بكم إلى مطالب منظمة التحرير الفلسطينية..... ولقد كنت على حسرة في نفسي، أن أتقدم

بهذه المطلب إلى مؤتمر الملوك والرؤساء..... خدمة العلم - التجنيد العسكري كان أول

مطالبنا..... فإن موقف الأردن ليس له ما يبرره..... أما مطلبنا الثاني فهو حرية السفر

والإقامة والعمل لأبناء فلسطين..... ولكن هذا المطلب الأساسي لم يجد استجابة كاملة فقد تحفظت عدة دول..... ثم جاء بعد ذلك المطالب الأخرى المتصلة بالتنظيم الشعبي وضمان الحرية لانتخابات المجلس الوطني المقبل وما تبع ذلك..... ولكن هذا الموضوع الخطير، لم يجد استجابة من بعض الدول العربية، في مقدمتها الأردن..... وقد بدا واضحًا بعد أن رفضت مطالب المنظمة في مجموعها، أن منظمة التحرير في حاجة إلى تحرير قبل أن تدخل معركة التحرير، بل وضع فوق ذلك أن شعب فلسطين في حاجة إلى تحرير إرادته قبل تحرير أرضه..... ويتبين بشكل جلي من هذه الكلمات أن الشقيري قد سئم المماطلات والعقبات التي تفرضها الأنظمة العربية بوجه الشعب الفلسطيني ومنظمته الفتية، ووضع كل منهم الشروط والإجراءات التي تتناسب ومصالحهم وأهدافه الخاصة دون أن ترتفق المسألة الفلسطينية فوق خلافاتهم وفصول حربهم الباردة، حيث ختم قائلاً: فيجب أن يكون هذا الشعب حرًا في ممارسة نشاطه القومي لا وصاية عليه، لا أغلال تكبله، ولا قيود تكتفه"⁵⁸.

الميثاق الإسلامي والعقيدة القومية: صراع الزعامة فيصل وعبد الناصر.

لقد كان بزور غفجر عام 1966 هو عام بزوغ شكل جديد من أشكال الصراعات العربية والمنافسة على تولي صدارة النظام الإقليمي العربي والتنافس على زعامتها، وبعد أن كانت مبادئ العقيدة القومية، وعلى مدى عدة عقود متتالية، هي المنبر الرئيسي لاستقطاب جماهير الأمة العربية ومحط الأنظار الذي تتدافع عليه الآراء والمناقشات وتقدم له المشاريع

⁵⁸ كلمات على طريق التحرير ، بيان موجه إلى الشعب الفلسطيني بعد الرجوع من مؤتمر القمة في الدار البيضاء ، 1965 ، ص 57 - 65

والخطط للارتفاع إلى حيز التطبيق العملي والواقعي، وما رافق ذلك من صداره الرئيس جمال عبد الناصر لزعامة النظام الإقليمي العربي، بكونه من المنظرين الأوائل للمبادئ القومية ومن أكثر الشخصيات الداعين لها والمرجعين لأفكارها.

وفي خضم المنافسة على الزعامة والصدارة داخل تلك النظام الإقليمي العربي، كان لا بد من طرح شعار بديل لشعار القومية وطرح أفكار ومبادئ مختلفة تعمل على توجيه أنظار جماهير الشعب إليها، والحد من انتشار وتفرد المبادئ القومية على مستوى الساحة العربية.

وهكذا وفي سياق منافسة الملك فيصل، ملك السعودية، لزعامة ناصر ومحاولة إقصائه عن تلك الزعامة والنفوذ، لجأ فيصل إلى الخروج إلى جماهير الأمة العربية بما عرف بالدعوة إلى الميثاق الإسلامي والمؤتمرات الإسلامية⁵⁹، وذلك لتسخير عامل الدين في الأوساط العربية في مقابل عاملعروبة التي قامت عليها العقيدة القومية⁶⁰.

فكان ذلك الميثاق الإسلامي هو الرديف المقابل لميثاق التضامن العربي، بالاعتماد على أن الترابط والتعاضد الإسلامي هو العامل الحقيقي الدافع للتوحد والتآلف ونبذ الخلافات، والعمل المشترك تحت راية واحدة، وكذلك فإن المؤتمرات الإسلامية هي الإطار الأوسع والأشمل للوقوف في وجه التحديات والمصاعب والمخاطر التي تواجه الأمة الإسلامية، وذلك لاحتوائها دول إسلامية من الدول الغير عربية.

⁵⁹ Malcolm Kerr, 1971, p. 152.

⁶⁰ هنري لورنس، 1992، ص208. كذلك انظر: فيصل الحوراني، عبد الناصر و القضية الفلسطينية ، 1987، ص31.

غير أن حقيقة الأمر كانت تختلف كل الاختلاف عن ما هو معلن عنه، فقد كانت الدعوة للحلف الإسلامي في حقيقتها ما هي إلا محاولة لفرض حالة من التوازن بين معاكسي النظام العربي - المحافظ والثوري -، وبالذات جمع شمل أقطاب المحافظين وتعبئته صفوفهم في مواجهة نفوذ المعسكر الثوري المتصاعد⁶¹، وبالتالي أصبحت التزعنة الإسلامية هي أداة فيصل في منافسته لناصر⁶²، وكان الغرض من ذلك الميثاق الإسلامي هو هدف جيوستراتيجي يبتعد عن ذلك الطابع الديني الذي صُبِغَ فيه⁶³.

وقد أيقن عبد الناصر أن المسعي من وراء الدعوة لمثل هذا التوجه الإسلامي، ما هو إلا محاولة تحدي سياسي مباشر لزعامته وإجراء فعلي لتحييد شخصه ونظامه عن صدارته النظام الإقليمي العربي، حيث ذكر عبد الناصر في إحدى خطاباته ما نصه "الحلف الإسلامي موجه ضدنا وضد قوى الثورة في العالم العربي"⁶⁴.

وقد جاءت توجّهات فيصل، معززةً لمثل هذا الصراع، فقد توجّه في جولاته ومساعيه لهذا الميثاق الإسلامي، إلى كل من حمل عدواً وضغينةً لعبد الناصر، فقد جرى التنسيق لهذا الأمر مع كلاً من الأردن، تونس، إيران، تركيا إلى غيرها من الدول⁶⁵، وعلى الأقل فإن العداء المتّصل بين عبد الناصر وحسين غني عن التعريف، وكذلك فإن المشاحنات والاتهامات المتبادلة ليست بالقليلة بين ناصر وبورقيبة، بناءً على توجّهات

⁶¹ فواز جرجس، 1997، ص264.

⁶² هنري لورنس، 1992، ص208.

⁶³ فواز جرجس، 1997، ص264 وص270.

⁶⁴ أحمد الشقيري، على طريق المعرفة، 1972، ص212.

⁶⁵ المصدر السابق، ص125.

الأخير ودعواه، وأيضاً فإن إيران وعلاقتها الرسمية بإسرائيل وشدة الخلاف بينها وبين النظام المصري كافية لتوضيح مثل هذا الأمر.

وبذلك أظهر فيصل قدرة على مقاومة ومنافسة زعامة ناصر وتفرد طروحاته وأفكاره القومية، على وجه الخصوص بعد بدء الترايد الكبير في الأهمية السياسية للسعودية واعتلالها المكانة المرموقة على مستوى النظام من خلال العزى والوفرة في الفائض المالي نتيجة زيادة الدخل المتراكם من مردودات سلعة النفط⁶⁶.

الانزلاق إلى مستنقع الحرب.

كان من البديهي التنبؤ بوقوع حرب لا محالة فيها مع الكيان الإسرائيلي، فقد حملت الأفق طوال العقدين المنصرمين قبيل حرب حزيران عام 1967 العديد العديد من الأحداث والتطورات، خاصة على مستوى سلوكيات الجانب الإسرائيلي ومخططاته وتحرشاته، التي لم تلقى الرد المناسب أو الردع الكافي، فقد كانت دول النظام الإقليمي العربي باشغال كبير في مزار عاتهم الشخصية ومشاكلهم الداخلية، وخلافاتهم القومية والوطنية والمصالحية، وتسابقهم لتوجيه الصفة تلو الأخرى لبعضهم البعض، دون النظر ولو لبرهة لحقيقة الواقع الذي يعيشونه، والعمل الحقيقي لمصالحهم العليا المشتركة، وتسخير إمكانياتهم وطاقاتهم في الاتجاه الصحيح بدلاً من تلك المهارات التي سخروا فيها كل ما يملكون دون أن تعود عليهم بفائدة مرجوة، ولعل أكبر مثال على ذلك هو حرب اليمن، وبذل كلاماً من السعودية ومصر من

⁶⁶ هنري لورنس، 1992، ص 208.

أموال وطاقات في وجه بعضهما على تلك الساحة، وكذلك إرهاق واستفاذ قدرة الجيوش العربية بالذات المصرية منها في حرب طاحنة ليس لها معنى ولا تبرير، على مدى خمس سنين وهي الفترة الممتدة منذ عام 1962-1967 من غير توقف.

وبالتالي فقد كان الإجماع العربي منصباً على عدم الإجماع، والدعوة إلى الوحدة والتضامن ما هي إلا الشعار ولكن التطبيق ما هو إلا التناحر والفرقة.

وبذلك وصل النظام الإقليمي العربي إلى حافة الهاوية، وعندما حلت ساعة الصفر وأصبحوا في مواجهة معركتهم المصيرية، كانوا قد خسروا كل شيء حتى مجرد الإصرار والعزمية، وبهذا فإن الحرب العربية_ الإسرائيلية عام 1967 وما تمخض عنها، كانت نتاج لحقيقة ذلك الواقع العربي المزري، وإن استدامة تلك الحرب لمدة ستة أيام لربما كانت فوق الوقت الذي تحتاجه إسرائيل لهزيمة تلك الفرقـة والتشتـت.

تحـيـ الشـقـيرـيـ وـاسـتقـالـتـهـ .

لقد أعقـبـ حـربـ حـزـيرـانـ عـدـةـ أـحـادـثـ عـلـىـ صـعـيدـ النـظـامـ الإـقـلـيمـيـ العـرـبـيـ كـانـ مـنـ

أـهـمـهـاـ مؤـتمرـ القـمةـ العـرـبـيـ الرـابـعـ بـالـخـرـطـومـ فـيـ عـامـ الـهـزـيمـةـ وـماـ تـمـخـضـ عـنـهـ مـنـ قـرـاراتـ

كـانـتـ بـمـجـملـهـ مـتـمـثـلـةـ بـالـلـاءـاتـ **الـثـلـاثـ:ـ لـاـ صـلحـ،ـ لـاـ اـعـتـرـافـ وـلـاـ مـفـاـوـضـةـ مـعـ إـسـرـائـيلـ⁶⁷**،ـ

حيـثـ كـانـ الشـقـيرـيـ رـئـيـسـ اللـجـنةـ التـفـيـذـيـةـ لـمـنـظـمـةـ التـحرـيرـ الـفـلـسـطـيـنـيـةـ قدـ أـسـحـبـ مـنـ الـمـؤـتمرـ

⁶⁷Charles Smith, 1992, p. 204.

بناءً على الموقف العربي المتاخذ ورفض استخدام سلاح النفط وقطع العلاقات بالدول المناصرة لإسرائيل، كذلك هو الحد الأهم في مجريات ذلك المؤتمر.

يضاف إلى تلك الأحداث صدور قرار مجلس الأمن الدولي والذي حمل رقم 242 الخاص بالقضية الفلسطينية والصراع مع الإسرائيليين وبشكل خاص نتائج حرب حزيران، وما رافقه من رفض من قبل منظمة التحرير لهذا القرار وكذلك رفض بعض الدول العربية وقبول غيرها فيه.

وبتوالي الأحداث، أقدم سبعة أعضاء من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بتقديم مذكرة لرئيس اللجنة الشقيري يطلبون فيها منه التحفيز الفوري عن رئاسة اللجنة، وكان ذلك بتاريخ 14 كانون أول 1967 وكان الأعضاء هم (يحيى حمودة، وجيه المدنى، أسامة النقيب، يوسف عبد الرحيم، عبد الخالق يغمر، نمر المصري وبهجهت أبو غربية)⁶⁸.

وقد كان سبب هذا الطلب هو رفض سياسة الشقيري وانتقادها، والسعى إلى توجيه سير المنظمة الفلسطينية بشكل مختلف وجديد، بناءً على ما آلت إليه أحداث حرب حزيران من ضياع باقي أرض فلسطين.

وكان بإمكان الشقيري أن يرفض الطلب وأن يصر على أنه انتخب لهذا المنصب بالإجماع من قبل المجلس الوطني الفلسطيني، إلا أنه ومع ذلك اختار تلبية الطلب، وبالفعل قدم الشقيري استقالته بتاريخ 24 كانون أول 1967، موجهاً استقالته تلك إلى الشعب

⁶⁹ **الفلسطيني**.

⁶⁸ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، 1990، ص 19.

⁶⁹ المصدر السابق.

ثم استقال الشقيري من منصبه كممثل لفلسطين في الجامعة العربية وذلك بتاريخ 27 كانون أول 1967، ليتحى عن العمل السياسي وليتفرغ لحياته الشخصية وكتابه مذكراته بعد أربعين عاماً من العمل والنضال. ليحل محلة في الفترة الانتقالية يحيى حمودة، إلى أن اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني في العام الذي تلاه عام 1968 حيث استطاع ياسر عرفات والذي كان قد عرف إلى ذلك الوقت بالناطق الرسمي باسم حركة فتح وأحد قادتها من الفوز برئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، إذ أن حركة فتح خلال السنين الأولى من عمر المنظمة قد عملت على تعزيز مكانتها داخل المنظمة الفلسطينية واستقطاب عدد من أعضائها، فتمكنـت من تبـوء مركز الصدارـة، فيـ الحـينـ الـذـيـ قـادـتـ هـذـهـ الأـحـدـاثـ إـلـىـ إـنـقـضـاءـ عمرـ حـرـكـةـ الـقـومـيـنـ الـعـربـ،ـ إذـ عـلـىـ جـوـرـجـ حـبـشـ عـلـىـ تـأـسـيـسـ الجـبـهـ الشـعـبـيـةـ لـتـحـرـيرـ فـلـسـطـيـنـ وـالـإـعـلـانـ عـنـ وـلـادـتـهاـ فـيـ عـامـ 1967ـ،ـ إـنـطـلـاقـاـ مـنـ التـحـولـاتـ الـفـكـرـيـةـ وـالـعـمـلـيـةـ الـتـيـ آـمـنـ بـهـاـ قـيـاديـ هـذـهـ حـرـكـةـ الـقـومـيـةـ مـنـ تـبـنيـ لـنـهـجـ الـمـارـكـسـيـ وـسـعـيـهـمـ لـلـإـسـقـالـ فـيـ الـعـمـلـ وـالـنـضـالـ بـعـيـداـ عـنـ الـأـنـظـمـةـ الـعـرـبـيـةـ وـشـعـارـاتـهاـ،ـ وـكـذـاكـ المـيلـ الـكـامـلـ إـلـىـ القـنـاعـةـ بـضـرـورـةـ النـضـالـ تـحـتـ رـايـةـ الـكـفـاحـ الـمـسـلحـ وـالـثـورـةـ الشـعـبـيـةـ الـمـسـلـحةـ مـنـ خـلـالـ التـأـثـرـ بـالـثـورـاتـ الشـعـبـيـةـ المتـعدـدةـ كـالـثـورـةـ الـفـيـتـنـامـيـةـ وـالـكـوـيـنـيـةـ وـالـصـيـنـيـةـ.

خاتمة

لم يكن خروج منظمة التحرير الفلسطينية إلى حيز الوجود والتي مثّلت الكيان الفلسطيني بالأمر السهل أو الهين، فقد مر إنجاز هذا الهدف وتحقيقه بعدة مراحل وتطورات كثيرة وكبيرة، كما واجه العديد من الصعوبات والمعوقات، حيث تأسس الكيان الفلسطيني عقب مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في كانون الثاني عام¹ 1964، حين كلف أحمد الشقيري لإجراء المشاورات والاتصالات مع الدول العربية والتجمعات الفلسطينية لدراسة نجاح الوسائل لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من تقرير مصيره²، حيث عمل الشقيري جاهداً وبدعم من عبد الناصر على عقد المؤتمر الفلسطيني في مدينة القدس في أيار من نفس العام وأعلن فيه عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن هل كان ذلك هو كل شيء؟

بالتأكيد لا، فمنذ عام 1958 والإعلان عن قيام دولة الوحدة ما بين مصر وسوريا بالاعتماد على تبني العقيدة القومية ورفع الأخيرة لشعار الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين، شرعت معظم أقطاب الحركة الفلسطينية وبالذات الهيئة العربية العليا بقيادة زعيمها التاريخي الحاج أمين الحسيني بالمناداة بضم فلسطين إلى دولة الوحدة تلك ومطالبة عبد الناصر بالعمل الجاد لإقامة الكيان الفلسطيني، وكذلك فلم يكن موقف حركة القوميين العرب أقل حماساً وتائيداً لطرح إنشاء الكيان الفلسطيني، فقد كانت الحركة من حملة الفكر القومي والداعين للفكر الناصري وتوجهاته، وعلقت الكثير من الآمال

¹ صلاح الدين شكري، 1964، ص 5
² أحمد الشقيري، من القمة إلى المفرزة ، 1971، ص 50

والتطلعات على مشاريع عبد الناصر وجهوده، وعملت بكل جهد لدفعه وتحفيزه على ضرورة المباشرة بإقامة الكيان الفلسطيني، كما كان خروج حركة فتح بمعتقداتها المختلفة نسبياً عن طروحات باقي التنظيمات الفلسطينية، بالدعوة إلى استقلال العمل الفلسطيني ونبذ الخضوع لإملاءات وتوجيهات الأنظمة العربية التي تفرض إشرافها على القضية الفلسطينية، كما تبنت هذه الحركة الكفاح المسلح كأساس للعمل الثوري الفلسطيني في سبيل سعيه نحو أهدافه الوطنية.

وبالتالي فقد حملت الفترة الزمنية الممتدة بين عامين 1958-1964 الكثير من الجهد والطروحات والمشاريع والمساعي من قبل العديد من الأطراف أكانت فلسطينية أم عربية، كالمشاريع التي أطلقها النظام العراقي بقيادة عبد الكريم قاسم منذ مطلع عام 1960 بالدعوة إلى العمل على تأسيس جيش فلسطيني والمطالبة بإقامة حكومة فلسطينية وإجراء الانتخابات الفلسطينية العامة³، وكذلك فلم تبتعد طروحات البعث السوري ومطالباته كثيراً عن ما ذهب إليه النظام العراقي باستثناء التشديد على مسألة ضرورة ممارسة الفلسطينيين **من خلال كيانهم المستقبلي** - السيادة على الأجزاء التي لم تقع تحت الاحتلال الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية، في حين عارض النظام الأردني بقيادة الملك حسين طوال هذه الفترة وما سبقها أيضاً، إقامة الكيان الفلسطيني أو سلخ الضفة الغربية عن السيادة الأردنية⁴.

³ Moshe Shemesh, 1988, pp.32-36

⁴ أنيس الصايغ، 1966، ص ص 319-321

وهكذا فقد كان إختلاف المواقف والتوجهات والمصالح المرجوة حول القضية الفلسطينية بين الأنظمة العربية الأعضاء في النظام الإقليمي العربي والذين يشكلون أقطاب الحرب العربية الباردة ومنخرطين في أحاديثها، كأحد عوامل تزايد حدة التناقض والتنازع العربي المتبادل والمشترك⁵، والأمثلة هنا كثيرة، فقد واجه معسكر الثوريين العديد من المنازعات التي نشببت بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم وكذلك بين عبد الناصر والبعث السوري وغيرها من الخلافات داخل هذا المعسكر، الذي وبطبيعة الحال كان على خلاف دائم ومستمر مع معسكر المحافظين وبالخصوص قطبيه الفاعلين النظام السعودي والنظام الأردني.

فتم تسخير القضية الفلسطينية كأحد أنواع الوقود الذي تصبح الأنظمة العربية على حربهم الباردة، ولنكون حربهم هذه هي السمة الرئيسية لطبيعة العلاقات والتفاعلات في ما بين أنظمة هذا النظام الإقليمي العربي.

إذن وعلى الرغم من وجود كل تلك الأصوات المعارضة لوجود كيان فلسطيني أو الاختلافات والتناقضات حول شكل هذا الكيان والهدف منه، إلا أنه وفي واقع الأمر قد تم إنشائه، فقد لعبت عدة ظروف محلية وإقليمية دور المحفز الحقيقي وراء مثل هذا الإنجاز منها: تصاعد حدة الصراع مع إسرائيل من خلال سياساتها وممارساتها الاستعمارية والتي أثارت ردود فعل عميقة في الأوساط الجماهيرية مما قاد بالقيادة العربية إلى إرغامهم على إتخاذ خطوة فعلية باتجاه القضية الفلسطينية، على عكس ما اعتادوا عليه من إطلاق التصريحات واتخاذ القرارات لكن دون تنفيذها.

⁵ فواز جرجس، 1997، ص 24-28

أما من العوامل الأخرى والتي قادت لنشوء منظمة التحرير الفلسطينية تلك هو تطور القوى والحركات الفلسطينية ونشوء قيادات وطنية فلسطينية جديدة وشابة استطاعت التأثير على تلك الأنظمة وإظهار مدى عزمهَا وإصرارهَا على العمل الحقيقي على صعيد قضيَّتهم، فأثرت تلك الأنظمة احتواء هذه التوجهات الجديدة بدلاً من إطلاق العنان لها، وتخوفاً من توريطها في مواجهة مباشرة مع إسرائيل في الوقت الذي لم يرغبوَا بها، آخذين بعين الاعتبار أن الدور الإسرائيلي ذو التأثير على السياسات العربية الذي أشرنا إليه لم يكن ليبلغ مستوى تأثير منافسات وخلافات القادة والزعماء العرب على تلك السياسات، فقد كان تركيز الأنظمة العربية على إهتماماتها وأولوياتها ومصالحها الوطنية.⁶

لقد كانت المحصلة النهائية لتطورات النظام الإقليمي العربي وتفاعل عناصره مع القضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي هو ما نتج عن حرب عام 1967 من احتلال كامل لباقي أجزاء أرض فلسطين، ولعل أكثر ما يفسر هذه النتيجة ويثبت حقيقتها هو قول أحمد الشقيري "ليس من التجني في شيء، أن ندين الحكم العربي المعاصر بالجبن حيناً، والخيانة - حيناً آخر، ، أن الحكم العربي، لا الأمة العربية، هو المسؤول وحده عن الكارثة الرهيبة التي نزلت بالأمة العربية، وهو المسؤول وحده عن بقائِها واستمرارها".⁷

⁶ المصدر السابق، ص 30-31.

⁷ أحمد الشقيري، على طريق المزمعة ، 1972، ص 200

أن السياسات العربية التي شهدتها الساحة العربية طوال فترة الخمسينات والستينات، وما تخللها من تفاعلات وعلاقات متبادلة بين عناصر النظام الإقليمي العربي، لم تكن لتتأثر بسياسات إسرائيل واستراتيجياتها، بقدر ما تأثرت بالقضية الفلسطينية والفلسطينيين بحد ذاتهم، حيث لم توحد تلك القضية الصد العربي بعمله وأهدافه، ولم يكن السبب في القضية بحد ذاتها، بل بالطريقة والآلية والأهداف التي سخرت لأجلها القضية، فقد لعبت المنافسات والمنازعات العربية المتبادلة والбинية ذلك الدور المتميز، لنقريف الجهد العربي وتبديد إمكانياته، فأصبحت القضية الفلسطينية هي العصا التي يضرب بها أعضاء المنظومة العربية بعضهم البعض، وعلق مصيرها، على ما تأله إليه الحرب العربية الباردة القائمة والمستمرة من نتائج وإفرازات، يضاف إلى ذلك تنافس الزعماء العرب فيما بينهم وقيامهم بالمزايدة على بعضهم البعض بشأن القضية الفلسطينية.

أذن فقد دفع معكري النظام الإقليمي العربي بكامل ثقلهم في مواجهة بعضهم البعض، فالمحافظين ضد الثوريين، إلا أن الأدھى والأمر هو التناحر داخل كل معسكر، فهناك ثوريين ضد ثوريين ومحافظين في وجه محافظين، وإلى غيرها العيد من المصدامات والمشاحنات بين أقطاب النظام الإقليمي العربي كل وداخل كل معسكر.

وإذا كنا نتحدث عن الحرب العربية الباردة فإن من أهم ميزاتها هو سياسة الاستقطاب، حيث عمد كل من طرف المعسكرين المتاخرين على التسلح بأفكار مختلفة حول طبيعة وشكل الكيان الفلسطيني، ليجمع حوله من خلال طروحاته تلك أكبر قدر ممكن من التأييد والمساندة ليحقق بذلك التغلق الأكبر في مواجهة الخصم والمنافس، أي

يمكن القول هنا أن إقامة الكيان الفلسطيني شكل أداة الاستقطاب لكل من المعسكرين في مواجهة الآخر، وأيضاً داخل كل معسكر فيما بين أطرافه مثلما حدث بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم.

إلا أن الملفت للانتباه هو ذلك التطور الكبير الذي طرأ على ساحة الحركة الوطنية الفلسطينية، فبعد أن عانت تلك الساحة من ضعف الحركات الوطنية الحقيقة والفاعلة، وافتقرت إلى قيادات فلسطينية ذات كفاءة عالية، فقد كانت حصيلة تلك التجربة والأعوام العديدة لحقبة نهاية عقد الخمسينات وأعوام عقد الستينات، الخروج بهيكلية فلسطينية مستقلة قادرة على التعامل مع قضيتها وإدارة شؤونها، وظهور أحزاب وحركات وطنية فلسطينية ثورية تمتلك ببرامج عمل وقيادات مؤثرة، عملت على تسير وتوجيه قضيتها بالشكل الذي يتناسب وأهدافها ومصالحها الوطنية.

وكذلك فقد رفعت من شأن القضية الفلسطينية، وأخرجتها إلى مستوى الساحة الدولية بشكلها ومضمونها الحقيقيان، بكونها قضية شعب يطالب بحقوقه واسترداد وطنه وإقامة دولته، كما تمكنت من أزالت تلك الصورة القاتمة الضعيفة بكونها قضية لاجئين فحسب.

وإذا كان نشوء منظمة التحرير الفلسطينية كمثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني قد مثل إنجاز لا يستهان به في مسيرة النضال الفلسطيني وقطع شوط كبير نحو تحقيق أهداف وطموحات الشعب الفلسطيني بتحرير أرضه وتقرير مصيره والحد من الأطماع العربية في المقدرات الفلسطينية وكف يدها عن الإشراف على الشؤون

الفلسطينية، والحد كذلك من التلاعُب بالقضية لصالح الأهداف القطرية لأنظمة العربية، إلا أن حرب حزيران بنتائجها القاسية على الشعب الفلسطيني وأمال الأمة العربية قد أوصلت القضية الفلسطينية إلى حال أكثر سوءاً ومرارة من ذلك الحال الذي كانت عليه إبان فترة العمل لذلك الكيان وخلفه.

المراجع

اللغة العربية

الوثائق:

- ❖ أحمد الشقيري : رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، مذكرة إلى مؤتمر القمة الأفريقي في أديس أبابا، تشرين الثاني 1966.
- ❖ بيان حركة القوميين العرب حول المؤتمر الوطني الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية (بيروت: 14/6/1964) ، الوثائق العربية - 1964 ، (بيروت: دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة، الجامعة الأمريكية).
- ❖ بيان الهيئة العربية العليا لفلسطين حول المؤتمر الوطني الفلسطيني (بيروت: 1964/6/10 ، منشور رسمي) ، الوثائق العربية - 1964 ، (بيروت: دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة، الجامعة الأمريكية).
- ❖ خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، الجزء الأول، 1952 - 1959 ، مطبع شركة الإعلانات الشرقية، 1960.
- ❖ كلمات على طريق التحرير، مجموعة من أهم الخطاب والرسائل والبيانات التي وجهها السيد أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى جماهير الشعب الفلسطيني والأمة العربية، 1965.

- ❖ محمد أمين الحسيني، حقائق عن قضية فلسطين: تصريحات وأحاديث للسيد محمد أمين الحسيني، (القاهرة: مطبع دار الكتاب العربي، ط.3، 1957).
 - ❖ مشروع الميثاق القومي الفلسطيني، وضعه السيد احمد الشقيري: ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية، 1964.
 - ❖ نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر مؤتمراته القومية 1947 – 1964، (بيروت: دار الطليعة، 1972).
 - ❖ نضال البعث في سبيل الوحدة الحرية الاشتراكية " وثائق حزب البعث العربي الاشتراكي " الجزء الثالث، (بيروت: منشورات دار الطليعة، ط.1، 1964).

الدوريات:

- ❖ شحادة موسى، حول تجربة الاتحاد العام لطلبة فلسطين، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 5، تشرين الثاني 1971.
 - ❖ عبد الرحيم ملوح، إعادة الاعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية، مجلة رؤية أخرى، مجلة نداء الحياة - فلسطيننا ، الأعداد: 2، 4، 11، 12، 13، 15، 37، 39، 39.
 - ❖ العدد 24، السنة السادسة، تشرين أول 1998.

الكتب:

- ❖ ابراش. إبراهيم، **بعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.2، 1987) .
- ❖ أبو النمل. حسين، **قطاع غزة 1948-1967 : تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية**، (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1979) .
- ❖ أحمد. أحمد يوسف ، **الصراعات العربية - العربية**: دراسة استطلاعية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.2، 1996) .
- ❖ باروت. محمد جمال ، **حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر**، (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، ط.1، 1997) .
- ❖ البيلغ. تسيفي، المفتى الأكبر، ترجمة مصطفى كبها، (عكا: مشورات الأسوار، 1983) .
- ❖ ثوما. أميل ، **منظمة التحرير الفلسطينية**، (دار الاتحاد للطباعة والنشر، إصدار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1986) .
- ❖ جرجس. فواز، **النظام الإقليمي العربي و القوة الكبرى : دراسة في العلاقات العربية - العربية - الدولية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1997) .

- ❖ الحوت. بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط.3، 1986).
- ❖ الحوراني. فيصل، عبد الناصر و القضية الفلسطينية، (عكا: دار الأسوار للنشر، ط.2، 1987).
- ❖ الحوراني. فيصل، الفكر السياسي الفلسطيني: 1964 - 1974 دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت: مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1980).
- ❖ الحوت. شفيق ، عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر ، د.ت).
- ❖ خمار. قسطنطين، الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط.2، 1966).
- ❖ رولو. أريك، فلسطيني بلا هوية : أبو أياد "صلاح خلف"، نقلها إلى العربية نصیر مروءة، (القدس: مؤسسة صيام للدعاية والنشر ، 1980).
- ❖ سويد. محمود، التجربة النضالية الفلسطينية: حوار شامل مع جورج حبش، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط.1، 1998).
- ❖ الشريف. ماهر، البحث عن كيان: دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908 - 1993 ، (نيقوسيا: مركز الأبحاث و الدراسات الاشتراكية في العالم العربي، شركة F.K.A. المحدودة للنشر ، ط.1، 1995).

- ❖ الشعيبى. عيسى، الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي 1947-1977، (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ط.1، 1979). .
- ❖ الشقيري. أحمد، أربعون عام في الحياة العربية و الدولية، (بيروت: دار النهار، 1969).
- ❖ الشقيري. أحمد، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء، (بيروت: دار العودة، 1972).
- ❖ الشقيري. أحمد، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، (بيروت: دار العودة، 1971).
- ❖ شكري. صلاح الدين، فلسطين و مؤتمر القمة العربي، (دمشق: مكتب الصحافة للشرق العربي، 1964).
- ❖ الصايغ. أنيس، الهاشميون والقضية الفلسطينية ، (منشورات جريدة المحرر المكتبة العصرية، 1966)
- ❖ الصفدي. مطاع، حزب البعث : مأساة المولد مأساة النهاية، (بيروت: منشورات دار الأدب، ط.1، 1964).
- ❖ عبد الرحمن. أسعد، منظمة التحرير الفلسطينية : جذورها تأسيسها مساراتها، (قبرص نيقوسيا: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، 1987).
- ❖ عبد الهادي. مهدي، المسألة الفلسطينية : مشاريع الحلول السياسية 1934 - 1974، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ط.2، 1992).

- ❖ علوش. ناجي، فكر حركة المقاومة الفلسطينية: 1948-1987، (د.ن، د.ت) .
- ❖ علوش. ناجي، المسيرة إلى فلسطين، (بيروت: دار الطليعة، 1964) .
- ❖ قاسمية. خيرية، أحمد الشقيري : زعيمًا فلسطينياً و رائداً عربياً، (الكويت: .(1987)
- ❖ كريشان. محمد، منظمة التحرير الفلسطينية: التاريخ والهيكل. الفصائل والايديولوجية ، (دار البرق، ط.1، 1986)
- ❖ لورنس. هنري، اللعبة الكبرى: المشرق العربي المعاصر و الصراعات الدولية، ترجمة محمد مخلوف، (قبرص: دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، ط.1، 1992).
- ❖ الماردوني. زهير، ألف يوم مع الحاج أمين، (دار العرفان، ط.1، 1977) .
- ❖ محافظة. علي، الفكر السياسي في فلسطين: من نهاية الحكم العثماني إلى نهاية الانتداب البريطاني 1918-1948، (مركز الكتب الأردني، د.ت.) .
- ❖ محسن. عيسى خليل، فلسطين و ساحة المفتى الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني، (عمان: مطبعة الصخرة، ط.1، 1998) .
- ❖ الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، المجلد الخامس، دراسات القضية الفلسطينية، (بيروت: ط.1، 1990) .
- ❖ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الرابع، (دمشق: ط.1، 1984) .

- ❖ نخبة من الكتاب والباحثين، القضية الفلسطينية في نصف قرن ، (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، ط.1، 1999)
- ❖ نخبة من الباحثين، القضية الفلسطينية في اربعين عاما: بين ضراوة الواقع... وطموحات المستقبل ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1989)
- ❖ نصر. مارلين، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر: دراسة في علم المفردات و الدلالة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط.4، 1990).
- ❖ هلال. علي الدين و جميل مطر، النظام الإقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط.5، 1986).
- ❖ هيكل. محمد حسنين، سنوات الغليان: حرب الثلاثين سنة 1967 ، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط.1، 1988).
- ❖ هيكل. محمد حسنين، ما الذي جرى في سوريا، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت).
- ❖ هيكل. محمد حسنين، الانفجار: حرب الثلاثين سنة 1967 ، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط.1، 1990).

اللغة الإنجليزية

Articles:

- ❖ Sayigh, Yezid: Reconstructing the Paradox: The Arab Nationalist Movement, Armed Struggle, and Palestine, 1951-1966. In: Middle East Journal, Volume 45, No.4, Autumn 1991, PP. 608-629
- ❖ Sayigh, Yezid: Escalation or Containment? Egypt and the Palestine Liberation Army, 1964- 1967. in: Middle East Journal, Volume 30, 1998, PP. 97-119

Books:

- ❖ Bailey, Clinton: Jordan's Palestinian Challenge 1948-1983. Boulder, Col.: Westview Press, 1984.
- ❖ Brand, Laurie A.: Palestinians in the Arab World: Institution Building and the Search for State. New York: Columbia University Press, 1988.
- ❖ Brown, Carl L.: International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game. Princeton, NJ: Princeton University

- Press, 1984.
- ❖ Cobban, Helena: The Palestinian Liberation Organization. People, Power and Politics. Cambridge: Cambridge University Press, 1984.
 - ❖ Cohen, Amnon: Political Parties in the West Bank under the Jordanian Regime, 1949-1967. Ithaca, NY and London: Cornell University Press, 1982.
 - ❖ Dann, Uriel: King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism. Jordan 1955-1967. Oxford: Oxford University Press, 1989.
 - ❖ Frangi, Abdallah: The P.L.O. and Palestine, London: 1983.
 - ❖ Gowers, Andrew & Tony Walker: Yasser Arafat and the Palestinian Revolution. London: Corgi Books, 1991.
 - ❖ Kegley, Charles W. Jr. & Eugene R. Wittkopf: World Politics : Trend and Transformation. London: Macmillan Press, 2001.
 - ❖ Kerr, Malcolm: The Arab Cold War. Gamal 'Abd al-Nasir and his rivals, 1958-1970. Oxford: Oxford University Press, 1971 (3rd ed.).
 - ❖ Korany, Bahgat, Ali Dessouki et alii: The Foreign Policies of

Arab States. Boulder, Col.: Westview Press, 1991 (2nd ed.).

- ❖ Mishal, Shaul: West Bank / East Bank. The Palestinians in Jordan 1949-1967. New Haven and London: Yale University Press, 1978.
- ❖ Nassar, Jamal: The Palestinian Liberation Organization. From Armed Struggle to the Declaration of Independence. New York: 1991.
- ❖ Rubenberg, Cheryl: The Palestinian Liberation Organization. Its Institutional Infrastructure. Belmont, Ma.: Institute of Arab Studies, 1983.
- ❖ Sayigh, Rosemary: The Palestinians: From Peasants to Revolutionaries. London: Zed Books, 1979.
- ❖ Shemesh, Moshe: The Palestinian Entity 1959-1974: Arab Politics and the P.L.O. London: Frank Cass, 1988.
- ❖ Smith, Charles D.: Palestine and the **Arab-Israeli Conflict**. London: St. Martin's Press, 1992 (2nd. ed.).
- ❖ Sayigh, Yezid: Armed Struggle and the Search for State. Oxford: Clarendon Press, 1997.
- ❖ Tibi . Bassam, Conflict and War in the Middle East 1967-1991, Harvard Uni.

- ❖ Tilly, Charles: War Making and State Making As Organized Crime , in : Peter B. Evans , Dietrich Rueschemeyer and Theda Skocpol, (New York, Cambridge University Press, 1985)
- ❖ Talhami, Ghada Hashem: Palestinian and Egyptian National Identity. New York:
- ❖ Waltz, Kenneth N.: Man, The State and War: A Theoretical Analysis. New York: Columbia University Press,
- ❖ Yapp, M. E.: The Near East since the First World War. London: Longman, 1991